مقر العقل: التفسير العلمي واللساني لـ "القلب" في القرآن

The Seat of Reason: Exegetical and Scientific Analysis of "Al-Qalb" in the Quran

المقدمة

هل نَعقِل بمضخة الدم، أم أن في الرأس سراً لم تدونه معاجم المتأخرين؟ يُجمع الدارسون اليوم على أن "القلب" هو تلك العضلة الصامتة التي تضخ الدماء، وهو رأي استقر في النفوس حتى صار المساس به ضرباً من المحال.

ولكن، كيف يستقيم هذا مع الصراع العلمي والفلسفي القديم؛ حيث انقسم أساطين الطب والفلسفة منذ عام 550 ق.م حول مقر الوعي البشري ؟ فبينما تبنت المدرسة الأرسطية فرضية مركزية القلب العضوي (Cardiocentric hypothesis)، عارضها فيثاغورس، وأبقراط، وجالينوس، مؤكدين ببرهان تشريحي قطعي أن الدماغ داخل الرأس هو وحده موطن الإحساس والفهم والتدبير ، وهو السجال التاريخي الموثق في جذور علوم الأعصاب ونشأتها (Crivellato & Ribatti, 2007) . إن هذا الصراع التاريخي يثبت أن مركزية الدماغ كانت أطروحة قائمة تاريخياً.

وهنا تكمن المفارقة الكبرى التي يستفزها هذا البحث؛ إذ يبرهن عبر منهج المقابلة البنيوية في النص القرآني والشعر الجاهلي أن البيان الإلهي لم يتبنَّ فرضية أرسطو الشائعة، بل جاء مصدقاً للحقيقة الطبية واللسانية الأعمق؛ حيث أن "القلب" في لغة العرب الأوائل يعني "لُبَّ الشَّيْءِ وَجَوْهَرَهُ"، وهو مرادف تام للدماغ المستقر داخل تجويف القحف ، ولهذا كان يرد دائماً في القرآن الكريم مصطلح ﴿أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ بمعنى أصحاب الفهم السليم والتعقل .

ومن هذا المنطلق يعيد البحث صياغة الأنثروبولوجيا القرآنية، مبرهناً أن القرآن حدد مركز القيادة (مقدمة الرأس) بوصفه "الصدر" المحيط باللب والناصية منذ أربعة عشر قرناً .
إن المعاجم المتأخرة لم تخطئ في نقل استخدامات الناس، ولكنها رصدت مرحلة (الإزاحة الدلالية) التي جمدت الألفاظ الحركية وحولتها إلى أسماء مكانية جامدة في البدن بفضل المؤثرات الطبية الوافدة . وهذا البحث يعتمد على تفكيك التناقض الداخلي للمعاجم، وإعادة قراءة اللفظ بناءً على (قانون الوضع البكر) المستخلص من النظم القرآني الحركي"

Do we think with our blood pump, or is there a cognitive secret inside the human skull left unrecorded by later lexicons ? Contemporary consensus firmly establishes "Al-Qalb" as the physical, blood-pumping muscle—a deeply rooted belief rendered almost sacrosanct . Yet, how does this convention align with the profound ancient scientific conflict dating back to 550 B.C ?

While Aristotle championed the "Cardiocentric hypothesis" (placing cognition in the heart), pioneers like Pythagoras, Hippocrates, and Galen fiercely opposed him, providing anatomical proofs that the brain (Al-Mukh) within the head is the sole organ of sensation, intellect, and deliberation . This foundational historical debate effectively marks the philosophical birth of modern neurosciences (Crivellato & Ribatti, 2007). Consequently, This historical debate demonstrates that brain-centrality was a well-established discourse .

This paper provokes the conventional axiom by demonstrating through structural comparative analysis of the Quranic text and Pre-Islamic poetry that divine revelation rejected the dominant Aristotelian misconception . By tracing classical Arabic semantics where "Qalb" strictly means the "core, essence, and central brain" housed inside the cranial cavity, the text frequently employs the term **(Ulul-Albab)** to uniquely designate those possessing sound intellect and reason . Consequently, this study systematically reconstructs Quranic anthropology, proving that the text mapped the cognitive seat (Al-Sadr/The Head) and the prefrontal cortex (Al-Nasiyah) fourteen centuries ago .
Later lexicons did not err in transmitting people's usages; rather, they recorded a stage of 'semantic shift' that frozen dynamic terms and transformed them into static, locative names within the body due to incoming medical influences. This research relies on deconstructing the internal contradiction of lexicons, and

rereading the utterance based on the 'primordial law of coinage' extracted from the dynamic Quranic system.

خطة الدراسة والمحتويات :

- **المبحث الأول: براهين اللغة وحركة الحياة على أن الصدر هو الرأس**
  - ★ المطلب الأول: معنى "الصدر" في لسان العرب وكيف يلتقي بالرأس
  - ★ المطلب الثاني : كيف أثبت شعر الجاهلية أن الصدر هو أول الشيء ومصدر حركته؟
  - ★ المطلب الثالث : كيف أثبتت عروق الرأس وحركة الخيل أن الصدر هو الرأس؟
  - ★ المطلب الرابع : بيت شعر طُفيل الغَنوي والمعنى الحقيقي للصدر
  - ★ المطلب الخامس : برهان آخر من ثوب "الصِّدَار" وموضع الرأس
  - ★ المطلب السادس : الفارق اللغوي بين "الصدر" و"الحَضْن العضلي"

- **المبحث الثاني : برهان "الصدر" من واقع النظم القرآني**
  - ★ المطلب الأول : الرأس هو موطن التفكير في النظم القرآني (المحل والحال)
  - ★ المطلب الثاني: هندسة "الناصية" بوصفها صدر الرأس وموطن القرار ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.
  - ★ المطلب الثالث : البرهان الحركي والفيزيائي في آية ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾
  - ★ المطلب الرابع : شهادة الحواس.. كيف تكشف لغة القرآن مكان "الصدر"؟

- **المبحث الثالث: التأصيل الدلالي واللساني لمفهوم القلب واللُّب**
  - ★ المطلب الأول : المقابلة التشريحية والوظيفية لمعاني "القلب" في الجسد
  - ★ المطلب الثاني: التباين المادي والتشريحي بين تجاويف الجسد البشري
  - ★ المطلب الثالث : برهان التناظر البنيوي: المخ ولُب الجوزة كرمزية تاريخية للذكاء

★ المطلب الرابع : هل اللب هو القلب

★ المطلب الخامس : التكييف الفسيولوجي لأسماء الأعضاء عند العرب

★ المطلب السادس : قيد الاحتراز البنائي وحقيقة "القلب" في الصدور

★ المطلب السابع : البرهان التطبيقي من الأثر والسلوك النبوي المادي للأعضاء

- **المبحث الرابع: الفلسفة الوافدة والجذر التاريخي للانحراف المعجمي لمعاني "القلب"**

★ المطلب الأول: الامتزاج المعرفي بين الفلسفة الأرسطية والفكر اليهودي القديم

★ المطلب الثاني: شواهد التداخل اليوناني الطبي والاجتماعي في صياغة الأسفار

★ المطلب الثالث : الانحراف المعجمي والتوجيه التشريحي لـ "القلب" (برهان يهورام)

المبحث الأول: براهين اللغة وحركة الحياة على أن الصدر هو الرأس

المقدمة :

إن كلمة (الصدر) في وعي العربي القديم كانت تحمل دلالة وظائفية وحركية مرنة؛ تعني **(الْمُقَدَّمَة والواجهة والطليعة البارزة)**. وكانت هذه الدلالة تتسع لتشمل الرأس، والعنق، والمنظومة العلوية للبدن في سياق الحركة والجهد، ولم تكن محصورة تشريحياً في التجويف العظمي السفلي (القفص الصدري) فقط .

ومن هنا، فإن إطلاق لفظ "الصدر" على أجزاء مختلفة في الكائنات والأشياء هو حقيقة لغوية واضحة، وتظهر بوضوح في ثلاثة شواهد بديهية من واقع لسان العرب وحياتهم :

1- صَدْرُ الْقَدَمِ: هو مقدمتها البارزة (الأصابع والمنطقة المرتفعة خلفها)، وهو أول ما يطأ الأرض وأول ما يندفع به الإنسان في مشيه وحركته .

2- صَدْرُ الْقَنَاةِ (أو السهم): وهو أعلى الرمح ومقدمته التي يركب فيها السِّنان والنَّصْل المتقدم للاختراق في المعارك .

3- صَدْرُ الرَّأْسِ (الناصية ومقدم الرأس): بناءً على نفس القاعدة، فإن ناصية الرأس (الجبهة والمقدمة) هي "صَدْر الرَّأْسِ" الحقيقي؛ لأنها واجهته البارزة للعيان، والمجابهة للهواء والريح، وهو التلازم الفيزيائي والبدني الذي يفسر تماماً خروج عرق الخيل من هذه الصدارة المتقدمة عند السبق والاندفاع .

وبناءً على هذا الفهم المَرِن والمشترك للأشياء، تضعنا قواميس اللغة أمام براهين عملية كبرى تظهر بالتفصيل في المطالب التالية :

المطلب الأول: معنى "الصدر" في لسان العرب وكيف يلتقي بالرأس

قد يرتكز البعض على الفهم الدارج للفظ ﴿فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: 46) لمحاولة إثبات مركزية عضلة ضخ الدم المستقرة في القفص الصدري أسفل العنق . ولكن هذا الفهم مردود عليه بقوانين المعاجم التراثية وعلم المقابلة البنيوية؛ إذ إن مفهوم **"الصدر"** في لسان العرب الأوائل كان يحمل دلالة تشريحية و فيزيائية أوسع بكثير من التحديد المكانى المعاصر الذي يربطه حصرياً بالمنطقة الواقعة بين العنق والبطن ، فبالرغم من أن بعض تلك المعاجم ذكرت أن الصدر هو القفص الصدرى تلبيةً للعرف العامي الساكن في زمانهم، إلا أنها استخدمت الكلمة في دلالات اشتقاقية ووظيفية أوسع بكثير من تلك المنطقة الجسدية الضيقة .

ففي جوهر اللغة، و أصل وضعها اللساني البِكر **"الصدر" هو أعلى مقدم كل شيء، وواجهته البارزة، وأوله**. وحين نراجع أمهات المعاجم ، نجد التحديدات الدلالية التالية تنص على أن :

فمن المعجم الغني :

★ **صدر :** مقدَّم كلِّ شيء

★ **صَدْر الإسلام :** بدايته

★ **"صَدَرَ مِنَ الشَّيْءِ"**: بَرَزَ.

★ **"صَدْرُ البَيْتِ الشِّعْرِيِّ" :** نِصْفُهُ الأَوَّلُ عَكْسُ العَجُزِ.

و ينص المرتضى الزبيدي في *تاج العروس* على :

★ **الصَّدْرُ :** أعلى مُقدَّمِ كُلِّ شَيءٍ وأوَّله

★ **صُدُورُ الوَادي :** أعليه ومَقَادِمُه كصَدَائرِهِ

★ **صَدْرُ القوْمِ :** رَئيسُهم كالمُصَدَّر ومنه : صَدْرُ الصُّدُورِ : للقائمِ بأعْباءِ المُلْكِ

وتطابقاً مع هذا المنهج، ينص ابن منظور في *لسان العرب* على أن:

★ "**الصَّدْرُ**: أَعْلَى مُقَدَّمِ كُلِّ شَيْءٍ وَأَوَّلُهُ"

★ **صُدُورُ الوادي :** أعاليه ومَقادمُه

ومما يوضح هذا التأصيل المعجمي، ما يتجلى عند استقراء مادة (ص د ر) في "القاموس المحيط" للإمام الفيروزآبادي؛ إذ تجرد في بابها الأصلي من حصر اللفظ في النطاق التشريحي الضيق لأسفل العنق، فلم يضع لها في موضعها حداً بدنياً ساكناً، بل اكتفى بوضع قاعدته الهندسية الكلية: **"صَدْرٌ: أَعْلَى مُقَدَّمِ كُلِّ شَيْءٍ، وأَوَّلُهُ، وكلُّ ما واجَهَكَ"**. وبرغم أن الفيروزآبادي قد عاد واستخدم لفظ "الصدر" كمرادف تشريحي شائع غلب على لغة عصره عند تعريفه لمواد أخرى (مثل مادة حَضْن)، إلا أن التعامل الأصلي في باب المادة ظل قائماً على فكرة القانون الوظيفي والمجرد .

وهنا يفرض علم المقابلة البنيوية واللسانية نفسه عند استنطاق ذات المعاجم عن كلمة (رأس)؛ إذ ينص لسان العرب على أن:

رَأْسُ كلّ شيء: أَعلاه

والرَّائِسُ : رأْسُ الوادي

ورائس النهر والوادي : أَعلاه مثل رائس الكلاب .

ورَوائس الوادي : أَعاليه .

إن هذه المقابلة تضعنا أمام حقيقة لغوية باهرة؛ فإذا كان "الصدر" هو أعلى مقدم كل شيء وأوله، وكان "الرأس" هو أعلى كل شيء؛ فإن هذا الترادف والتطابق المطلق في تفسير (صدور الأودية وروائسها) بأنها **(أعاليها ومقادمها المستشرفة)** يقطع بأن "الصدر" و"الرأس" في الوعي اللساني البِكر هما مصطلحان متطابقان، وكان من المفترض تلازماً أن يكون الصدر أحد المرادفات الشرعية للرأس في مواضع معينة تشير للرياسة والصدارة البدنّية .

وعندما نطبق هذه القاعدة العامة لكلمة (الصدر) طبقاً لأصلها اللغوي على جسم الإنسان، فسوف يتبين قطيعاً أن العضو الحقيقي الذي ينطبق عليه هذا المعنى البنائي والاشتقاقي هو **(مقدمة الرأس والناصية)**؛ فهي أعلى ومقدم جسم الإنسان حقيقة وبصرياً، وليس المنطقة اللحمية أسفل العنق . فحتى وإن كانت تلك المنطقة (أسفل العنق) في الواجهة المقابلة، فأيضاً البطن والعنق والرأس في الواجهة البصرية، ولكن مقدمة الرأس تمتاز عنها وتتفوق عليها هندسياً وتشريحياً بأنها لا تتربع فقط على قمة البدن الإنساني وأعلاه، بل هي العضو الأكثر بروزاً واندفاعاً في الواجهة الأمامية للإنسان حركياً وبصرياً؛ فالرأس والوجه والناصية هما الكتلة الطليعية التي تتقدم وتخترق الفضاء مواجهةً، بينما تظل المنطقة التشريحية أسفل العنق تابعة ومستندة خلف هذا البروز الرأسي الشامخ بالإضافة إلى عدم علوها لأنها ليس أعلى شئ في جسم الانسان . وحتى والانسان نائم على ظهره فإن الأنف والذقن تكون هي الأجزاء البارز من الإنسان . لذلك، كان من الغريب جداً والمنافي للمنطق اللساني البِكر أن يسقط المتأخرون كلمة الصدر على المنطقة أسفل العنق فقط .

المطلب الثاني : كيف أثبت شعر الجاهلية أن الصدر هو أول الشيء ومصدر حركته؟

عندما نفتح كتاب تهذيب اللغة للأزهري؛ إذ يروي بإسناده المتقدم والوثيق عن جيل الأوائل:
أَبُو عُبيد عَن الْأَحْمَر: صَدَرْتُ عَن المَاء صَدَراً، وَهُوَ الِاسْم، فَإِن أردتَ المَصدَر جزمْتَ الدَّال، وأَنشدَنا:

وَلَيْلَةٍ قَدْ جَعَلْتُ الصُّبْحَ مَوْعِدَهَا ... صَدْرَ المَطِيَّةِ حَتَّى تَعْرِفَ السَّدَفَا

قَالَ: صَدْر المَطِيّة مصدر

انتهى

تفكيك الدلالة الحركية للمصدر:

ينص الأحمر وأبو عبيد هنا على أن كلمة (صَدْر) في البيت لم تأتِ كاسم لعظام أو لحم القفص الصدري الساكن ، بل جاءت كـ "اسم مصدر لغوي" يعبر عن (الابتداء، والاندفاعة الأولى، وأول الشيء ومنطلق حركته وزمانه).

وبالمطابقة والتلازم مع جسم الإنسان البشري:

بما أن الصدر لغوياً وحركياً في أصل وضع اللسان هو **"مصدر الابتداء وأول الاندفاع الطليعي"**؛ فإن العضو البشري الأوحد الذي ينطلق منه أول الفكر، وأول الكلام، ومصدر عمليات السمع والحفظ التي تتقدم واجهة البدن الإنساني هو **الرأس والمخ والناصية العلوية الشامخة،** وتتهاوى تماماً دعاوى قصر الكلمة وحصرها وجعلها حكراً على التجويف العظمي الساكن أسفل العنق، متجاهلين وعاء الصدارة الأعلى الحقيقي والمفكر .

المطلب الثالث : كيف أثبتت عروق الرأس وحركة الخيل أن الصدر هو الرأس؟

يتأكد المعنى القديم بأن الرأس هو "صدر" الجسد من خلال دليلين ملموسين؛ الأول يتعلق بعروق رأس الإنسان، والثاني بطريقة ركض الخيل :

- **1- عِرق "الأصدران" في الرأس :**

أطلق العرب الأوائل لفظ **"الأَصْدَرَانِ"** على عِرقين موجودين في الرأس تحديداً تحت الصدغين (جانبي الوجه بين العين والأذن) . وينص الفيروزآبادي في قاموسه: «**الأصدران: عرقان تحت الصدغين**» .

واستخدم العرب هذا اللفظ في أمثالهم اليومية؛ فكانوا يقولون عن الشخص الذي يعود خائباً وخالي الوفاض: «**جاء يضرب أصدريه**» . وبالتفكير العفوي، نجد أن الإنسان عندما يُصدم أو يتحسر، يلطم رأسه ويمسك بصدغيه أسفاً، وهي حركة تلقائية تفسر مكان هذه العروق

وعند تتبع هذا اللفظ في أمهات المعاجم كـ لسان العرب لابن منظور، يتجلى لنا برهان قاطع ليس فقط على موضع اللفظ المتصل بالرأس، بل على التخبط حول أصل وضع الكلمة الحسي الجاهلي عند التدوين المتأخر؛ إذ ينقل ابن منظور عن أبي حاتم السجستاني قوله في المثل الجاهلي السائر: «**وجاء فلان يضْرِب أَصْدَرَيْه إذا جاء فارِغاً... ولم يَدْرِ ما أَصْلُه؛ وقال بعضهم أَصْدَراه وأَزْدَراه وأَصْدغاه ولم يَعْرِفْ شيئاً منهنَّ**».

إن هذا التداخل الصوتي والتبدل بين أحرف الصفير (الصاد، والسين، والزاي)، وإبدال الغين راءً في **"أَصْدَغَاهُ"** و**"أَصْدَرَانِ"** لتخفيف الثقل النطقي على اللسان؛ هو ظاهرة لسانية طبيعية وشائعة تجمعها وحدة المخرج الإشاري والاشتقاقي؛ فبما أن الصدغين هما جانبا الرأس والوجه حصراً، وبما أن قاعدة الصدر تشترط العلو والبروز؛ فإن التناوب والتبادل اللفظي في المثل يقطع يقيناً بأن المنظومة المستهدفة بالضرب والنفض عند الحسرة هي الجمجمة والوجه علواً .

إن هذا الاعتراف الصريح والصادم من أبي حاتم السجستاني ، وهو من كبار أئمة القرن الثالث الهجري (ت 255 هـ) بـ "عدم معرفة أصل الكلمة" أو الفارق بين لغاتها المتعددة، عندما قال : **(ولم يَدْرِ ما أَصْلُه ... ولم يَعْرِفْ شيئاً منهنَّ)** يُعد وثيقة تاريخية حاسمة تبرهن بجلاء على وقوع انقطاع معرفي وحسي في عصر التدوين ؛ وتثبت يقينًا أن بعض الألفاظ الجاهلية القديمة المرتبطة بأعضاء الجسم أو الأمثال الحركية الفطرية قد فُقد سياقها الحسي الدقيق وتشوّش وعاء فهمها لدى لغويي القرن الثالث الهجري وما بعده بسبب غياب المشافهة البكر ودخول التأثيرات الفلسفية والترجمات الطبية الوافدة التي بدأت تعزل الرأس عن مسمى الصدارة لتلقي به في منخفض الجسد السفلي .

ولم يتوقف التخبط عند حدود عروق الصدغ، بل تعداه إلى محاولة نقل اللفظ لـ **المنكبين**؛ حيث يورد ابن منظور: «**وفي حديث الحسَن: يضرب أَصْدَرَيْه أَي مَنْكِبَيْه**». وهذا التفسير المروي عن الحسن البصري ، وإن بدا في ظاهره مغايراً لعروق الرأس ، فإنه يعود في حقيقته ليخدم ذات التأصيل المكانى للكلمة؛ فالمنكبان (الكتفان) هما القاعدة العلوية التي يرتكز عليها الرأس، ويمثلان لغوياً وبصرياً **"أعلى الجسد ومقدمته البارزة"**.

وبالتحليل الواقعي البصري لهذا المثل الجاهلي الكلاسيكي، نجد أن التعبير مرتبط بحركة حسية فطرية يصدرها الإنسان المصدوم أو الخائب (الذي يرجع فارغ اليدين)؛ حيث يلطم رأسه ويمسك بصدغيه بيديه حسرةً وأسفاً (وهو ما يفسر الأثر التشريحي لعروق الأصدرين)، أو يمشي مشية المنكسر المسترخي الذي تهتز مناكبه وأكتافه العلوية خيبةً وفشلاً (وهو ما فسر به الحسن اللفظ).

وفي كلتا الحالتين الحركيتين، يظل مفهوم **"الصدر"** متمحوراً في المنطقة الحاكمة العلوية من الجسد (الرأس والمنكبين)، وبعيداً كل البعد عن التجويف العظمي للقفص الصدري السفلي.

إن إطلاق العرب للفظ "الأصدران" ، باشتقاقه المباشر من مادة (ص د ر) ، على أجزاء وعروق وحركات منطقة الرأس ، يثبت قطعيًا أن الرأس وضواحيه العلوية هو الذي كان يُسمى **"صَدْراً"** في الوعي اللغوي القديم، قبل أن تنقل المعاجم اللفظة تشريحيًا لأسفل العنق بسبب محاولة ملاءمة النصوص مع الفلسفات اليونانية والمسيحية واليهودية الوافدة لموضع التفكير والروح.

- فإذا كان **"الصدر"** في أصل لسان العربي القديم هو (المنطقة أسفل العنق الحاوية للأضلاع والقص)، فمن الناحية البنيوية للاشتقاق التشريحي، كان يجب حتماً ولزوماً أن تُسمى عروق هذا القفص الصدري (كالشريان الأبهر أو الأوعية الصدرية البارزة بالجهد) باسم "الأصدران"؛ لأنها في وعاء الصدر العُرفي.
- لمّا ترك العربي القديم البدن كله، واختار **عرقين نابضين في الجمجمة وفي صدارة الرأس وتحت الصدغين** تحديداً ليطلق عليهما اسم (الأصدران) ؛ دلّ هذا قطعاً وبيانياً على أن الوعاء والمحيط الجغرافي الحامل لهذه العروق (وهو الرأس والجمجمة) هو الذي يملك صفة "الصدارة والبروز المطلق" في بدنه . فاشتق اسم العرقين من اسم وعائهما ومكانهما (الرأس/ الصدر)

• 2 - حركة الخيل في السباق (تصدير الفرس) :

يتطابق هذا الفهم مع طريقة ركض الحيوانات؛ إذ ينص الإمام مجد الدين الفيروزآبادي في القاموس المحيط بدقة : **"صَدَرَ الْفَرَسُ تَصْدِيراً: إِذَا بَرَزَ بِرَأْسِهِ وَسَبَقَ"** .

ونلاحظ هنا معركة علمية بالغة الأهمية؛ إذ يعلق المرتضى الزبيدي (ت 1205 هـ) في تاج العروس مستغرباً لما ورد فى القاموس المحيط بناءً على المعاجم القديمة (كتهذيب اللغة للأزهري والمحكم لابن سيده) فيقول :

"من المجاز: صَدَّرَ الفَرَسُ تَصْدِيراً **إِذَا بَرَزَ بِرَأْسِهِ** هكذا في سائر النسخ والصواب: بِصَدْرِهِ كما في سائر الأمهات؛ وسَبَقَ، وفَرَسٌ مُصَدَّرٌ: السابِقُ وفوقَ السابِقِ يتَقَدَّمُ الخَيْلَ بِصَدْرِهِ، وأنشد قوَل طُفيل الغَنويِّ... انتهى" .

إن شهادة الزبيدي بأن لفظ (بِرَأْسِهِ) مستقر وثابت في **"سائر النسخ"** للقاموس المحيط تنفي أن يكون الأمر مجرد مخالفة متعمدة أو خروجاً اعتباطياً عن الأمهات؛ بل يثبت أن الفيروزآبادي كان ينطلق من **قناعة لسانية بديهية ومستقرة في وعيه، وهي أن (الصدر هو الرأس ومقدم الجسد البارز)**.

فلكون الفيروزآبادي يلتزم بالقاعدة الكلية الحاكمة للمادة بأن **"الصَّدْرُ: أَعْلَى مُقَدَّمِ كُلِّ شَيْءٍ وَأَوَّلُهُ"**، كان من الطبيعي والبديهي في نظره وعقيدته اللغوية أن يكتب **(بَرَزَ بِرَأْسِهِ)**؛ فالجواد في حالة الاندفاع والركض السريع لا يمكنه فيزيائياً إبراز عظام قفصه الصدري الساكن، بل إن العضو التشريحي الأول الذي يمتد في الهواء طائراً ليقطع خط النهاية هو **رأسه وعنقه المندفع** (وهو ما يُعرف عالمياً وتاريخياً بالسبق بالرأس أو الأنف).

لقد جرى قلم الفيروزآبادي بلفظ (الرأس) كمرادف مباشر وتطبيق عملي حتمي لكلمة (الصدر)؛ لأنه يرى أن رأس الفرس هو صدره الوظيفي والحركي. وبذلك، يزول التعارض الذي توهمه الشراح المتأخرون، ويتضح أن ثبوت اللفظ بالرأس في سائر نسخ القاموس هو توثيق حكيم يثبت أن الرأس هو مركز الصدارة في وعي أئمة اللسان .

- **ويتدعم هذا المنطق الحركي بالعرف الرياضي والتأصيل التشريحي التاريخي المستقر في كلاسيكيات التراث العربي لسباقات الخيل وحلائبها في الجاهلية والإسلام؛** إذ جرت عادات العرب على ترتيب خيل الحلبة المتنافسة وإطلاق الأسماء عليها بناءً على موضع "الرأس والوجه"، فكانوا يرسلون خيل الحلبة عشرة عشرة، ويطلقون على الفرس الفائز بالمركز الأول اسم **"الْمُجَلِّي"** أو **"الْمُبَرِّز"** (أي الجواد الذي انْجَرَدَ وانفرد في المقدمة فجَلَّى الأحزان عن صاحبه وظهر برأسه واهب الصدارة)، بينما يطلقون على الفرس الحائز على المركز الثاني اسم **"الْمُصَلِّي"**.

وقد وثّق أئمة التراث وعشاق الخيل (برواية الأعرابي الفصيح كِلاب بن حمزة العقيلي) العِلة التشريحية الميكانيكية القاطعة لتسمية صاحب المركز الثاني بـ "المصلي"؛ إذ سمي كذلك: **"لأنه وضع جحفلته [وهي مقدمة أنفه وشفتيه ووجهه] على قطاة المجلي، وهي صلاته [أي العجز والمؤخرة الخلفية للحصان الفائز الأول عند منبت الذيل]"**. وهنا يقصد العربي القديم بوضوح أن ميزان الحكم بالسبق أو التأخر كان محصوراً بصرياً في خط التماس الحركي بين "رأس ووجه" الحصان الثاني ومؤخرة الحصان الأول، مما يثبت أن الرأس هو المعيار الفعلي للتقدم والسبق.

- **هذا يبرهن أن معيار القياس البصري والالتحام الحركي عند العربي كان "رأساً برأس، ووجهاً بوجه"**، وليس منطقة القفص الصدري السفلي المغمورة بين الأرجل . وبالتالي، فإن جزم الفيروزآبادي بعبارة (برز برأسه) هو انعكاس دقيق وعلمي لأن الرأس هو "صدر الفرس وواجهته الحركية المحتكم إليها"

ومما يقطع بأن الوعي الحركي والجمالي والطقسي للعرب كان يحصر ميزان الصدارة والكرامة والخسران في جغرافية الرأس والوجه حصراً دون الجسد السفلي، ما سارت عليه أدبيات الحلائب غداة الرهان (يوم السباق) من تركيز على **"الغُرَّةِ"** [وهي بقعة البياض الشامخة التي تتوسط جبهة الحصان وناصيته وتعد عنوان جمال الرأس وصدارته] نثراً وشعراً؛ فبينما كان طقس الاحتفاء بالفرس الفائز مقترناً بمسح جبهته وعينه («وكانوا يمسحون وجه السابق»)، وجعل هذه الغرّة الواجهية عنواناً للسيادة والسبق حتى وإن كان لون الحصان **"أدْهَمَ"** [وهو الحصان الأسود شديد السواد] الذي حاز الفضل بسبقه برأسه برغم خلو جبهته من البياض، كما صاغه صاحب أرجوزة الخيل الكلاسيكية :

"فَمِنْهُنَّ أَحْوَى طِمِرٌّ أَغَرُّ [جواد طويل شديد بياض الجبهة] ... يَفُوتُ الْخُطُوطَ إِذَا يُلْجَمُ»«تَلَأْلَأَ فِي وَجْهِهِ قُرْحَةٌ [بياض يسير ينير وجهه] ... كَأَنْ تَلَأْلُؤُهَا الْمِرْزَمُ»«فَجَلَّى الأَغَرُّ [الفائز أبيض الجبهة] وَصَلَّى الكُمَيْتُ [الحصان الأحمر الناري الذي يلاحقه برأسه] ... وَسُلَّى فَلَمْ يُذْمَمِ الأَدْهَمُ [الأسود]"

فإن العرف جرى بالمقابل على معاقبة الفرس المتأخر (التاسع) باللطم على ذات الموضع التشريحي البارز؛ فسمي تاريخياً بـ **"اللطيم"** لأن عقوبته البدنية الخالصة لعدم تصدره برأسه هي اللطم المهين على وجهه ورأسه، كما وثقته الأرجوزة ذاتها في ختام حلائب السباق:
"وَجَاءَ اللَّطِيمُ لَهَا تَاسِعاً ... فَمِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يُلْطَمُ".

هذا التلازم الحركي، والطقسي، والشعري والنقدي الموثق يقطع بأن ميكانيكية "الصدارة" (الصدر لغوياً) كانت تُحسب عند العرب ببروز خط الرأس والوجه والناصية، وليس بالقفص الصدري المتأخر خطوياً. وبذلك، يزول التعارض ويتضح أن ثبوت اللفظ بالرأس في سائر نسخ الفيروزآبادي هو البديهية اللسانية الحقة التي ترى الرأس صَدْراً للبدن واجهياً ووظيفياً .

وفي المقابل، إن إجماع اللغويين المتقدمين والمتأخرين (الذين بدأ عملهم في أواخر الدولة الأموية) على إطلاق لفظ الصدر على منطقة أسفل العنق في الجسد الساكن، هو إطلاق عُرفي عامي ،خاص بزمانهم وبيئتهم الاجتماعية، اصطدم وتناقض مع القواعد الكلية والاشتقاقات الحسية والحركية التي سجلتها ذات المعاجم؛ والتي تؤكد أن الصدر في أصل لسان العرب هو أعلى الشيء ومقدّمه البارز، وهو ما لا ينطبق تشريحياً ووظيفياً في لسان التنزيل إلا على الرأس وناصيته مصداقاً لما أوردوه أنفسهم في متونهم من شواهد لا تنفك تربط الصدارة بالرأس وحركته؛ مثل عِرق (الأصدران) وثوب (الصِّدار)

الخلاصة:

هذا التلازم بين تسمية عروق الرأس (الأصدران)، وطريقة سبق الحصان برأسه، وعقوبة الفرس المتأخر بلطم وجهه، يثبت أن "الصدارة" (الصدر) في وعي العربي القديم كانت تُحسب ببروز الرأس والوجه والناصية، وليس بالقفص الصدري المتأخر في الحركة .وهذا يفتح لنا الباب لفهم آية ·﴿الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾·؛ فالصدر في لغة القرآن هو وعاء الصدارة ومقدمة الإنسان وهو "الرأس"، والقلب هو مركز القرار والوعي (المخ) المستقر في صدارة هذا الرأس .

المطلب الرابع : بيت شعر طُفيل الغَنوي والمعنى الحقيقي للصدر

ودعماً لمرونة استخدام كلمة "الصدر" في لغة العرب الأوائل، نجد في متن معجم لسان العرب تفكيراً لغوياً هاماً سجله العالم المتقدم أبو سعيد السيرافي في شرحه للبيت الشعري المشهور لشاعر الجاهلية والفروسية **طُفيل الغَنوي**، وهو يصف جواده بعد اشتداد الجري :

كأنه بَعْدَما صَدَّرْنَ مِنْ عَرَقٍ سِيدٌ، تَمَطَّرَ جُنْحَ الليل، مَبْلُولُ

حيث نصَّ أبو سعيد بعبارة كاشفة قاطعة على أن معنى: "﴿بَعْدَمَا صَدَّرْنَ مِنْ عَرَقٍ﴾ **أَيْ هَرَقْنَ صَدْراً مِنَ الْعَرَقِ وَلَنْ يَسْتَفْرِغْنَهُ كُلَّهُ"**. واعتبر علماء اللغة أن هذا التفسير هو الأجود والأصح لغوياً.

ما معنى هذا الكلام ببساطة؟

معناه أن كلمة **"الصدر"** هنا لم تُستخدَم كاسم لعضو في الجسم (سواء كان قفصاً صدرياً أو رأساً)، بل استخدمت بمعناها اللغوي الأصيل وهو: **(الابتداء، والدفعة الأولى، وأول الشيء)**.

فالخيل "صَدَرْنَ من عرق" أي أفرزن الدفعة الأولى والبداية الوافرة من العرق نتيجة الحركة والسبق والاندفاع .وهذا التحقيق يبرهن للقارئ على أن الكلمة في الوعي العربي القديم كانت تدور دائماً حول معنى (الأولية والابتداء والصدارة والتقدم).

وتأسيساً على هذا التحقيق، تلتقي الأبعاد الحركية واللغوية في فكرة واحدة بسيطة :

حركياً وفسيولوجياً: تؤكد كشوف علم وظائف الأعضاء وحركة الحيوان (Equine Perspiration) أن الخيول عند التعب والجري الشديد تفرز العرق كدفعة أولى وبغزارة عالية من منظومة الواجهة الأمامية المصطدمة بالهواء؛ وتأتي في مقدمتها الرأس والرقبة وأعالي الكتفين (Savvy Horsewoman, 2023) ؛ حيث تشكل هذه الأجزاء معاً كتلة مواجهة واحدة تسمى "الصدارة"؛ وهي أول ما يجابه حركة الريح، ومن ثم تكون هي الموطن الطليعي

الأول الذي يتلقى الجهد ويسيل منه العرق إجهادياً . فحتى وان أفرز العرق من منطقة صدره إلا أنها لا يكون في الطليعة الأولى للعرق بل في الدفعات اللاحقة .

لذلك بما أن الشاعر الجاهلي طفيل الغنوي حدد الزمان والحالة فقال: ·{بَعْدَمَا صَدَّرْنَ مِنْ عَرَقٍ}· ، وبما أن الشرح اللغوي للأوائل (السيرافي) جزم بأن المقصد هو (أفرزن الدفعة الأولى والبداية) ؛ فإن المطابقة البيولوجية المعاصرة تثبت أن هذه الدفعة الأولى لا تخرج فيزيائياً إلا من الرأس والعنق . فهما من يخرج منهما (صدارة العرق)

فلغوياً ومعرفياً: إن لفظ **"الصدر"** في فقه اللغة العربية العتيقة هو **"مُنطلق الشيء وأوله وبداية بروزه"** . وبما أن الرأس وعنقه يُمثلان "أول أول الشيء" في حركة الاندفاع؛ فإنهما يندرجان حتماً وبشكل تلازمي تحت مفهوم الصدر وعرقه في وعي وثقافة العربي القديم

بناء على هذا الشرح، فإن عبارة ·{الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}· في محكم التنزيل تؤول دلالياً إلى: "الألباب والعقول (المخ) **المستقرة في وعاء الصدارة ومقدمة الكيان البشري وهي الرؤوس**" . فالصدر هو المحيط باللُّب الخالص، والرأس هو وعاء الصدر الحاضن لمركز التدبير الفكري

المطلب الخامس : برهان آخر من ثوب "الصِّدَار" وموضع الرأس

لإثبات أن **"الرأس"** يدخل كلياً في مسمى **"الصدر"** عند القدماء، تضعنا المعاجم أمام دليل مادي ملموس من واقع لباسهم اليومي؛ وهو تصميم وهندسة ثوب "الصِّدَار" الذي كانت ترتديه المرأة العربية قديماً .

حيث يذكر ابن منظور في *لسان العرب*:

"وَالصِّدَارُ: ثَوْبٌ رَأْسُهُ كَالْمِقْنَعَةِ وَأَسْفَلُهُ يُغَشِّي الصَّدْرَ وَالْمَنْكِبَيْنِ تَلْبَسُهُ الْمَرْأَةُ" .

هذا النص يوضح لنا تفصيلاً في غاية الأهمية؛ فهذا الثوب التراثي الذي اشتقه العرب مباشرة من اسم "الصدر" ، كان تصميمه الفني يبدأ ماديّاً وتشريحياً من **الرأس** ؛ فهو يغطي رأس المرأة ووجهها أولاً (مثل المقنعة أو الخمار)، ثم ينحدر نزولاً ليغطي الكتفين والمنطقة أسفل العنق .
وبما أن هذا الكساء سُمي **"صِداراً"** وهو يبتدئ من أعلى الجمجمة صعوداً ثم ينسدل لأسفل، فهذا برهان قطعي على أن الرأس في وعي العربي هو أول الصدر وأعلى واجهته التي تبدأ منها التسمية
فكانت المرأة العربية ترتدي "الدرع" و"الجلباب" و"المِبْذَل"، وهي ملابس وظيفتها الأساسية والأصلية ستر الجسد بالكامل بما في ذلك منطقة القفص الصدري ، بل كانت ترتدى أيضا الوَفْض أو الرِّقاع (بمثابة حمالات الصدر البدائية) ومع ذلك لم يشتق العرب لها اسماً من مادة (ص د ر) ، ولكن عندما صمموا ثوباً مخصوصاً يبدأ نسيجه وخياطته هندسياً من أعلى الجمجمة صعوداً (كالخمار والمقنعة) ثم ينسدل ليحيط بالمنكبين، أطلقوا عليه اسم "الصِّدَار" . هذا يبرهن تاريخياً ومادياً على أن "نقطة الابتداء والصدارة البصرية" التي فرضت إطلاق الاسم على الثوب هي الهامة والرأس علواً، فلو كان الصدر هو المنطقة السفلية فقط، لغابت علة تميز "الصدار" عن بقية الجلابيب والدروع

فكلمة "صِدار" صيغت على وزن (فِعَال)، وهو في لغة العرب وزن يُستخدم لـ **"الآلات والروابط والأدوات التي تجمع وتضم وتشد شيئين أو أكثر معاً"** (مثل: الخِلال الذي يجمع الثوب، العِقال الذي يربط البعير، الحِزام الذي يحيط بالوسط).بناءً على هذا الناموس الاشتقاقي: ثوب "الصِّدَار" لم يُسمَّ كذلك لأنه غطى الرأس وحده (وإلا لسمي مقنعة)، ولم يُسمَّ لأنه غطى الصدر السفلي وحده (وإلا لسمي درعاً أو جلباباً) .بل سُمي "صِداراً" لأنه الثوب الذي يربط ويضم ويجمع صدارة الإنسان (الرأس) بـ صدارة بدنه (المنكبين وأعالي الكتفين) في كتلة بصرية وتشريحية واحدة متصلة ، مما يثبت أن "الصدر" و"الصدارة" في وعي العربي لم تكن تبدأ من تحت العنق، بل هي الكتلة العلوية الأمامية الشاملة للرأس والعنق والمنكبين معاً كمنظومة

مواجهة واحدة . وحين صُمم لباس يجمع هذه المنظومة العلوية ويشدها ببعضها، لم يجد العربي اسماً أدق من "الصِّدَار" ليوصف به هذا الربط

وحين نضع هذا الاستنتاج اللغوي في ميزان المقارنة مع تعريف "الرأس" في نفس معجم لسان العرب، نجد قوله صراحة: **"رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ: أَعْلَاهُ".**

المعادلة اللسانية الناتجة هنا واضحة وبسيطة: إذا كان "الصدر" في أصل اللغة هو أعلى مقدم كل شيء وأوله ، وكان "الرأس" هو أعلى كل شيء على الإطلاق ؛ فإن النتيجة القطعية التي تلتقي فيها الخطوط التشريحية واللغوية هي: **أن الرأس هو صَدْر الإنسان الحقيقي وواجهته البارزة المستحقة لوصف الصدارة**

المطلب السادس : الفارق اللغوي بين "الصدر" و"الحَضْن العضلي"

لتفكيك اللبس المعجمي تماماً ، نجد أن المساحة المحصورة بين العنق والبطن (والتي تحتوي على مضخة الدم والرئتين) لها اسم تشريحي محدد ومستقل في المعاجم وهو (الْحَضْن) أو (الْجَشْء) .

حيث نقرأ في معجم لسان العرب لابن منظور:
"الْحَضْنُ: مَا دُونَ الْإِبْطِ إِلَى الْكَشْحِ، وَقِيلَ: هُوَ الصَّدْرُ وَالْعَضُدَانِ وَمَا بَيْنَهُمَا" .
وتطابقاً مع ذات النقل، ينص الإمام الفيروزآبادي في القاموس المحيط مادة (حضن) صراحة على أن: **"حَضْنٌ: ما دُونَ الإِبْطِ إلى الكَشْحِ، أو الصَّدْرُ والعَضُدانِ وما بَيْنَهُما"**

ملحوظة منهجيّة كبرى وتفكيك للبس:

إن ورود كلمة "الصدر" داخل تعريف "الحَضْن" في المعاجم ، لا يقدح في هذه الأطروحة ؛ بل هو الشاهد على حجم **"التداخل العرفي"** وتأثر المعاجم بلغة العامة بعد اختلاط الألسن؛ إذ وقع أصحاب القواميس في تناقض بنيوي واشتقاقي مع أنفسهم. فكيف يستقيم هندسياً وحركياً أن يُطلق لفظ "الصدر" كمرادف للحضن البدني اللحمي أسفل العنق ، في حين أن الفيروزآبادي نفسه قد أسس القاعدة الكلية الحاكمة لمادة (ص د ر) واشترط فيها قطعياً أن تكون: **"أَعْلَى مُقَدَّمِ كُلِّ شَيْءٍ، وأَوَّلُهُ، وكلُّ ما واجَهَكَ"**؟ والمنطقة العضلية للحضن تسفل الرأس والعنق بكثير ولا تمثل القمة العلوية المطلقة للإنسان

إن هذا الفحص اللساني والمقابلات البنيوية يثبتان أن **"الحَضْن"** هو الاسم البدني الحقيقي والدقيق لوعاء المضخة العضلية والكتفين والقفص اللحمي . في حين أن **"الصدر"** في أصل لسان العرب وفي البيان القرآني يتسع دلالياً ليشمل **"صادرة الإنسان، وأعلى مقدمته البارزة، وهي الرأس"** ؛ ذلك الوعاء الحاضن للألباب والعقول (المخ) . وبذلك تسقط دعوى حصر العقل والوعي في التجويف العضلي السفلي (الحضن) ، وتستقر الحجة عصبياً وتشريحياً لمركز القيادة الفكري والقرار البشري داخل الجمجمة العلوية الشامخة.

• المبحث الثاني : برهان "الصدر" من واقع النظم القرآني

بعد أن ظهر التناقض المعجمي الواضح في كتب اللغة المتأخرة، وتبين أن القواعد الكلية للسان العرب تجعل من "الرأس" وواجهته البارزة هو الصدر الحقيقي؛ الآن في هذا المبحث سوف نتدبر النظم القرآني المحكم. فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين وبكر، وعند تتبع مواضع كلمة "الصدر" وآياتها، سنجد أن القرآن يستعمل الكلمة دائماً كدلالة حركية وبنائية تشير إلى الرأس ومقدمته (الناصية)، وليس إلى القفص الصدري اللحمي الساكن. وسوف يثبت هذا البرهان القرآني الخالص من خلال ثلاثة مطالب رئيسية :

المطلب الأول : الرأس هو موطن التفكير في النظم القرآني (المحل والحال)

- **1. البعد البلاغي لارتباط الرأس بالوعي (المحل والحال) :**

هناك أسلوب بلاغي شهير في القرآن الكريم يُسمى "المجاز المرسل بعلاقة المحلية"، ومعناه ببساطة: أن يذكر القرآن اسم "المكان/الوعاء" (المحل)، ولكنه يقصد به "الشيء المستقر بداخله" (الحال فيه) ، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك هو :

قال الله تعالى :- (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82))

(سورة يوسف)

فالمقصود هنا ليس سؤال الجدران والبيوت (القرية)، بل سؤال الناس الذين يسكنون داخلها (أهل القرية) ، فأطلق المحل وهو القرية ، وأراد الحال وهم أهل القرية

وعندما نتدبر طريقة التفكير البشري والقرار في النص القرآني، نجد أن القرآن الكريم استخدم نفس هذا الأسلوب البلاغي مع **الرأس**؛ ففي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما أقام الحجة على قومه و**هزمهم عقلياً** واقرارهم بذلك ، ثم يصف القرآن الكريم بعد ذلك تراجعهم الفكري وانقلاب قناعتهم العقلية مرة أخرى وعودتهم إلى الفكر الجاهلي

قال الله تعالى :- (فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (65)) **(سورة الأنبياء)**

فنقرأ من تفسير القرطبي في تفسير الآية 65 من سورة الأنبياء :

(قوله تعالى : ثم نكسوا على رءوسهم أي عادوا إلى جهلهم وعبادتهم)

انتهى

وكذلك فسرها مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي - المتوفى عام 150 هـ - المجلد 3 - الصفحة 85 :

(ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ يقول رجعوا عن قولهم الأول فقالوا لإبراهيم لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ)

انتهى

فالرأس هنا عومل لغوياً وبلاغياً كـ "وعاء ومكان" (المحل) لعملية الفكر والقرار الارتدادي المقلوب (الحال)

إن كلمة **(نُكِسُوا)** والتعبير القرآني المصاحب لها يحملان دليلاً قاطعاً ؛ فالفعل "نَكَسَ" لغوياً يعني قَلْبَ الشيء على رأسِهِ بجعل أعلاهُ أسفلهُ، وهذه الحركة الانكسارية لا يمكن في لسان العرب أن تأتي لوصف "الكِبر والاستعلاء" فالقرآن عندما يصف الكبر والرفض الظاهري يقول عادة: ﴿وَلَّوْا مُسْتَكْبِرِينَ﴾ ، لأن المتكبر يرفع رأسه صعوداً ويشمخ بأنفه.
أما لفظ ﴿نُكِسُوا﴾ فيعبر حتماً عن **ارتداد فكري، وانتكاسة عقلية محضة**. ولذلك ربطه النظم القرآني مباشرة بـ **العلم والنطق** في قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ . وبما أن النطق، والعلم، والاعتقاد هي وظائف فكرية وإدراكية بامتياز؛ فإن هذا يثبت يقيناً أن الرأس هو مكان تلك المعالجة الفكرية .

- **2- قانون التعبير عن الأفعال بالبنية التشريحية لأجزاء الجسد :**

ولكي يتضح هذا الناموس البلاغي بشكل قاطع، نجد أن القرآن الكريم عندما يذكر "جزءاً" من بَدَن الإنسان ليعبر به عن ذاته ككل، فإنه لا يختار الأجزاء عشوائياً، بل يلتزم بقانون صارم يربط الجزء بالوظيفة الحركية والبدنية المسندة إليه في الآية :

★ عندما يتكلم القرآن عن **العبودية والعتق والتحرير**، يذكر **(الرقبة)** حصراً : ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ لأن الرقبة هي موضع الغُل والقيد والسلاسل التي يُربط بها العبيد قديماً .

★ عندما يتكلم القرآن عن **الخضوع والذل التعبدي** ، يذكر **(الأعناق):** ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾؛ لأن العنق هو العضو التشريحي الذي ينحني ماديًا عند الخضوع والانقياد .

★ عندما يتكلم القرآن عن **العمل، والسبق، والاكتساب المادي البشري**، يذكر **(الأيدي):** ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾؛ لأن اليد هي العضو المباشر المسؤول عن الحركة والعمل والقبض والكسب المادي.

بناءً على هذا القانون البلاغي الصارم، نرى المفاجأة الكبرى؛ فعندما أراد القرآن التعبير عن **"انقلاب النية، وتراجع القناعة الفكرية، والعلم، والاعتقاد بالمنطق العقلي"**، لم يذكر الأيدي، ولا الرقاب، ولا الأعناق ، ولا الأرجل؛ بل اختار حصراً وعاء (الرؤوس) في قوله : ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ﴾ وأتبعها بـ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ .

هذا الاختيار الهندسي الدقيق يقطع بأن الرأس لم يُذكر كـ "جزء عشوائي" ليعبر عن ذات الإنسان، بل ذُكر خصيصاً لأنه العضو الوظيفي المادى الوحيد الحاضن لعملية التفكير، والمحاكمة العقلية، وإصدار القرارات الصامتة التي انقلبت في داخل عقولهم ، وبذلك تستقر وتثبت حقيقة "المحلية الإدراكية" للرأس في النظم القرآني.

- **3- أدلة الوعي والسيادة المتصلة بالرأس في حركة الحياة :**

ويترسخ هذا المفهوم الوظيفي للرأس كقائد ومدبر للبدن ومستقر لقدراته من واقع شاهدين بديهيين من لسان العرب البِكر وحياتهم اليومية:

أولاً: التنكيس العقلي في العمر: يتكرر نفس الربط بين التنكيس والفهم والارتداد في سورة يس

قال الله تعالى :- ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (68)﴾

(سورة يس)

فالإنسان كلما طال عمره يرتد تشريحياً وعقلياً إلى حالة الضعف وقلة الفهم التي كان عليها في صباه، فجاء التعبير بـ **"التنكيس"** (وهو الانقلاب الرأسي والبدنى بجعل أعلاه أسفله) دالاً بشكل مباشر على تراجع قدرات التفكير والوعي الحاكمة المسؤولة عن العقل والإدراك .

وكذلك بالنسبة إلى : (نكسوا على رءوسهم) ، أي ارتدوا إلى جهلهم ، فكانت الرأس دليل على فكرهم الجاهلى لأنها موطن فكرهم

ثانياً: لغة البديهة والسيادة اليومية: إن هذا المفهوم الوظيفي للرأس كقائد ومدبر للبدن هو ما بنى عليه العربي أمثاله قديماً . فكانوا يقولون في تعابيرهم العفوية المستقرة في قواميس اللغة :

دارَ في رأسه: فكّر فيه

رِكِب رأسَه : كابر، عاند وانفرد برأيه بغير رويّة

ومن شعر الأخطل في العصر الأموي :

ألمّثْ بشُعْثٍ **راكبينَ رؤوسَهُمْ** .... وأكوارِ عيسٍ قدْ براها

ومثلما اشتقوا من الرأس اسم "الرئيس" ليدل على صاحب التدبير والفكر و الحكمة الذي يقود بقية القوم ؛ فإن النظم القرآني واللسان البِكر تعاملا دائماً مع الرأس باعتباره المركز الإداري والقيادي الأعلى للكيان البشري وموطن أفكاره وقراراته .

المطلب الثاني: هندسة "الناصية" بوصفها صدر الرأس وموطن القرار ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾

تحدث القرآن الكريم بوضوح عن أن **"القلوب التي في الصدور"** هي موطن التفكير واتخاذ الخيارات . وبعد أن أوضحت في المبحث الأول التناقض المعجمي الذي عزل الرأس عن مسمى الصدر؛ يعطينا النظم القرآني دليلاً تشريحياً ولغوياً حاسماً يربط بين مقدمة الرأس (الناصية) وبين وعاء الصدارة (الصدر)، ويظهر ذلك بوضوح في آيتين كاشفتين:

- **الآية الأولى :**

قال الله تعالى :- (كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16))

(سورة العلق)

هنا يصرح القرآن الكريم بأن الناصية هي موضع قرار الإنسان ومركز مسؤوليته الأخلاقية والجنائية عن الكذب والخطأ

- **الآية الثانية:**

قال الله تعالى :- (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (56)) **(سورة هود)**

فالأخذ بالناصية هنا يعبر عن قيادة وتوجيه وإدارة سلوك الكائن الحي وهدايته لطريقة معيشته وحركته ، فهي مركز التعلم والتدبر فيأخذ الله عز وجل بها ويعلمها ويفهمها

قال الله تعالى :- (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)) **(سورة طه)**

قال الله تعالى :- (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78)) **(سورة الشعراء)**

يعنى أن الله عز وجل هو هادى كل شئ لطريقة معيشته ، فهو آخذ بناصيتها أي مقدم رأسها وهي أيضا الصدر لأنها مقدمة رأس الإنسان ، فهي موطن التفكر في الإنسان ، ومن خلالها يهدى الله عز وجل البشر ليفكروا في معيشتهم

فما هي الناصية لغوياً وتشريحياً؟ وما علاقتها بالصدر؟

عندما نعود إلى المعاجم اللغوية البكر، نجد تعريفا لها فى المعاجم يتضمن :

النَّاصِيَةُ: مُقدَّم الرَّأس

النَّاصِيَةُ :شَعرُ مقدَّم الرأس إذا طال

وفلانٌ ناصيةُ قومِهِ: شريف هم

النَّاصِيَةُ :رأْسُ الشارع لدى ملتقاه بآخر

وهنا تبرز المعادلة اللسانية البسيطة: إذا كانت القاعدة الكلية لتعريف كلمة "الصدر" هي **(مقدم كل شيء وأعلاه)**، وكانت الناصية هي **(مقدم الرأس وأعلاه)**؛ فإن الناصية هندسياً وتشريحياً هي **"صَدْرِ الرَّأْسِ" وواجهته البارزة الاستشرافية** .

ويتطابق هذا الاستنتاج اللغوي بنسبة 100% مع أحدث كشوف علم التشريح العصبي وعلم الأعصاب (Neuroscience)؛ فمن الناحية التشريحية، يقع الدماغ في القسم العلوي المحمي من الجمجمة ، بينما يقع الجزء المسؤول حصرياً عن العمليات العقلية العليا لاتخاذ القرارات والتوجيه الأخلاقي والتحكم في السلوك في **"الفص الجبهي الأمامي" (Prefrontal Cortex)** مستقراً في باطن الجمجمة خلف عظم الجبهة وعظم الناصية مباشرة، وهو العضو المعني بالوظائف التنفيذية التالية (Gray's Anatomy, 2020) :

وهذا الفص الأمامي (المخ الأمامي) يقبع مستقراً في باطن الجمجمة خلف عظم الجبهة وعظم الناصية مباشرة . فالفص الجبهي هو العضو المعني بالوظائف التنفيذية التالية :

1- التفكير، والتخطيط، والموازنة .

2- اتخاذ القرارات والعمليات الإدراكية .

3- التوجيه الاجتماعي والأخلاقي، وتدبير النوايا والكذب أو الصدق .

وهنا تكتمل هندسة الألفاظ وتتناغم؛ فالقرآن الكريم بدقته المعجزة لم يقل "القلب الذي في الناصية"؛ لأن الناصية لغوياً وبدنياً هي مجرد السطح الجلدي الخارجي والواجهة الظاهرة للعيان، وهي "الشاشة" البدنية التي يظهر عليها السلوك وتُنال بالقبض والسفع والعقاب المادي . بينما أطلق القرآن لفظ ﴿الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ؛ لأن "صَدْر الرأس" (تجويف الجمجمة الأمامي العلوى) هو الوعاء العظمي الداخلي والعميق المحيط بهذا العضو المفكر والحاضن له ؛ فالصدر هو الوعاء الباطن، والناصية هي واجهته الظاهرة، وكلاهما يثبتان تشريحياً وعصبياً أن مركز الفهم والوعي الإنساني وموطن اتخاذ القرار مستقره مقدمة الرأس العلوية الشامخة

المطلب الثالث : البرهان الحركي والفيزيائي في آية ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾

ينقلنا القرآن الكريم إلى مشهد حركي عجيب يصف فيه محاولة بعض كفار مكة ومنافقى المدينة إخفاء مشاعرهم وأفكارهم عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى :- (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (4) أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (5)) **(سورة هود)**

وإذا حكّمنا واقع حركة الجسد (الفيزياء الحركية)، سنجد أن القفص الصدري أسفل العنق عبارة عن علبة عظمية ثابتة ومحكمة من الأضلع، وهو غير قابل ميكانيكياً للثني أو الطي . فما هو الشيء الذي ثناه هؤلاء ليستخفوا؟

ولتدبر هذا المشهد البصري، نسير عبر خمس نقاط محددة:

- **1- التفسير الحركي والفيزيائي للآية (فهم الأوائل) :**

عند البحث عن المعنى الأصلي والبِكر لـ "ثني الصدور"، يجب أن نرجع أولاً إلى فهم جيل الصحابة والتابعين الأوائل الذين عاصروا نزول الوحي قبل أن تتأثر اللغة بالترجمات الطبية والفلسفية الوافدة؛ ونستخرج شهاداتهم القاطعة من ثلاثة مصادر تراثية أصيلة:

شهادة صحيح البخاري عن حبر الأمة ابن عباس: نقل ابن كثير في تفسيره للآية 5 من سورة هود ما نقله البخاري عن ابن عباس ، وذلك في المجلد السادس - صفحة 73 :

٤٦٨٣ - حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَمْرٌو قَالَ: «قَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: **{أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ}**». وَقَالَ غَيْرُهُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: **{يَسْتَغْشُونَ} يُغَطُّونَ رُءُوسَهُمْ، {سِيءَ بِهِمْ}** سَاءَ ظَنُّهُ بِقَوْمِهِ، **{وَضَاقَ بِهِمْ}** بِأَضْيَافِهِ، **{بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ}** بِسَوَادٍ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: **{أُنِيبُ}** أَرْجِعُ.

انتهى

هذا يثبت قطيعاً أن الرأس والوجه هما المنظومة المستهدفة بالغطاء والاستخفاء وليس الجسد السفلي

شهادة تفسير الطبري عن التابعي عبد الله بن شداد: يروي الإمام الطبري في تفسيره للآية (5) من سورة هود ، عن حبر التابعين عبد الله بن شداد بن الهاد (ت 82 هـ) عبارة واضحة كالشمس تصف ميكانيكية تلك الحركة : **"كَانَ الْمُنَافِقُونَ إِذَا مَرُّوا بِهِ ثَنَى أَحَدُهُمْ صَدْرَهُ،**

وَيُطَأْطِئُ رَأْسَهُ". والواو هنا حالية وتفسيرية تدمج العضوين حركياً؛ و تكشف عن التلازم الحركي المطلق بينهما ؛ فالحركة القائدة والوحيدة الممكنة فيزيائياً لثني "الصدر والواجهة" في الطرقات هي طأطأة الرأس وعنقه نزولاً لأسفل، فجاء ذكر طأطأة الرأس شارحاً ومفسراً لكيفية ثني الصدر ماديّاً وبصريّاً.

شهادة تفسير مقاتل بن سليمان: وهو صاحب أول تفسير كامل للقرآن الكريم (ت 150 هـ)؛ حيث فكك اللفظ بنص صريح قاطع يربطه بالرؤوس مباشرة قائلاً في تفسيره لسورة هود - (المجلد 2 - صفحة 271) :

(٤- أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ يعني يلوون وذلك أن كفار مكة كانوا **إذا سمعوا القرآن نكسوا رءوسهم على صدورهم** كراهية استماع القرآن لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ يعني من النبي- صلى الله عليه وسلم- فالله قد علم ذلك منهم، ثم قال: أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يعنى يعلم ذلك **يَعْلَمُ الله حين يغطون رءوسهم بالثياب مَا يُسِرُّونَ في قلوبهم، وذلك الخفي وَما يُعْلِنُونَ بألسنتهم إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**)

انتهى

ويقصد مقاتل هنا بالصدر حركياً وبصرياً هو (العنق)؛ فالإنسان عندما يُطأطئ رأسه وينكسه لأسفل، فإنه يثنيه وينكسه على عنقه الذي يُمثل قاعدة الرأس وصدر الجسد العلوي البارز . وهو ما يتطابق مع معادلته التفسيرية الأولى الحاكمة التي جعلت (ليّ الرؤوس) مرادفاً مباشراً لـ (ثني الصدور) ؛ مما يثبت أن الفاعل الحركي لإخفاء الوجوه والأفكار في وعي الأوائل هو الرأس وعنقه، وليس القفص العظمي الساكن .

الخلاصة :

هذا التفسير القديم يثبت أن كلمة (الصدر) في زمن نزول القرآن الكريم لم تكن تعني أبداً المنطقة المحصورة أسفل العنق فقط، بل كانت تشمل الرأس بالضرورة . فحركة **"ثني الصدور"**

التي قاموا بها كانت عبارة عن طأطأة الرؤوس وتنكيسها لأسفل، وتغطية الوجوه بالثياب لمخادعة النبي وإخفاء ما يدور في عقولهم .

وعندما يعقب القرآن الكريم على فعلهم هذا بقوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾؛ فالمعنى المباشر والبسيط هو: أن الله سبحانه وتعالى عليم بالسر الخفي، والنيات، والأفكار (القلب الإدراكي) المستقرة داخل الدماغ والمخ في تلك الرؤوس المطأطأة والمغطاة بالثياب، والتي يحاولون إخفاءها . فما في الصدور حقيقةً.. هو ما في الرؤوس

2- الرد على التفسيرات التقليدية :

وقع مفسرو العصور المتأخرة في مأزق تشريحي واجتماعي كبير عند تفسير هذه الآية بناءً على حصرهم للصدر في القفص العظمي أسفل العنق؛ حيث زعموا في بعض روايات أسباب النزول أن الرجل كان ينحني ويطوي صدره نحو بطنه ليستحي من الله عند الغائط أو جماع زوجته لئلا يفضي بجسده إلى السماء أو أنه كان ينحني عند المرور بالنبي عليه الصلاة والسلام. وهذا التفسير مردود عليه من وجهين :

من الناحية الفيزيائية: إن عظام القفص الصدري علبة صلبة ومحكمة من الأضلع وعظمة القص، وهي غير قابلة ميكانيكياً للانحناء أو الانطواء . والحركة البدنية الوحيدة الممكنة لتقليص الجسد أو طأطأته هي حركة الرأس والعنق نزولاً وصعوداً .

من الناحية الاجتماعية والسلوكية: إن انحناء الظهر والجسد للأمام في ثقافة العرب وعاداتهم هو هيئة تُشبه "الركوع"، وهي تعبر في السلوك الاجتماعي عن **(تحية الاحترام، والإجلال، والتعظيم لشخص الرائي)**. ومن المستحيل تماماً من الناحية العقائدية والنفسية أن يقوم الكفار والمنافقون بحركة تعني تحية الاحترام والإجلال للنبي عليه الصلاة والسلام ووهم يكرهون المرور به ويحملون له العداء والبغضاء؛ بل إن الحركة الوحيدة التي تعبر عن التملص

والصد والامتناع هي طأطأة الرأس وليه لأسفل لتفادي المواجهة البصرية، كما أن هذه الحركة هي انحناء الظهر ولا تسمى (ثنى الصدر)

أما اللجوء للمجاز: وادعاء البعض أن الثني مجاز معنوي لإخفاء الكفر، فيبطله عطف الثني على فعل: ﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾؛ وتغطية الجسد بالثوب حركة مادية حقيقية 100%، والقرآن لا يعطف حقيقة مادية على مجاز معنوي في سياق حركي واحد.

3- تفكيك ميكانيكية الغطاء ومنطق السقف والفضاء الخارجي :

إذا تتبعنا بقية الآية ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، نجد تفكيكاً منطقياً يكشف حقيقة العضو المقصود بالصدر؛ فالآية تتكلم عن منطقة معينة كان الكافر يحاول إخفاء ما بداخلها من أفكار عن الله عز وجل، عبر حركتين: يثنيها أولاً، ثم يغطيها بالثياب ثانياً . وهذا يفرض حقيقة اجتماعية وبصريّة واضحة: أن تلك المنطقة المستهدفة بالثني والتغطية كانت في أحوالهم العادية خارج المنزل **بارزة، ومكشوفة، ومستقبلة للفضاء والسماء** .

وهنا يحاكم المنطق السليم عادات اللباس لدى الإنسان البشري :

- إن الإنسان الذي يظن بقصر عقله أنه إذا ثنى صدره أو غطاه بثوب سَيُخفي أسراره ونياته عن الله عز وجل ، هو بالتأكيد يعتقد أن وجوده داخل منزله أو خيمته (حيث يوجد سقف مادي يغطيه ويحجبه عن السماء) كافٍ لإخفاء ما يُسره وبالتالي فهو ليس بحاجة لاخفاء نياته أثناء الجماع داخل منزله . إذن، هذا الكافر كان يفعل هذا السلوك الحركي وهو **خارج منزله وفي الفضاء المفتوح تحت السماء**.
- وفي هذه الحالة، يستحيل تماماً أن يكون المقصود بالصدر هو منطقة أسفل العنق أو أعلى البطن؛ لأن الإنسان بطبيعة الحال في طرقات المدينة ومكة يكون مرتدياً ملابسه كاملة، ومنطقة القفص الصدري مغطاة ومستورة بالثياب أصلاً، ولن يكون بحاجة لثنيها أو استغشاء ثياب إضافية فوقها لإخفائها لأنها مخفية بالفعل تحت رِدائه ومحجوبة عن رؤية السماء.

- إن المنطقة الوحيدة البارزة والمكشوفة تماماً للفضاء الخارجي وللسماء، والتي تُمثّل واجهة الإنسان (صدارته) وحاملة أفكاره ونياته وعلامات تآمره هي **منطقة الوجه والرأس** . وهنا تظهر الميكانيكية الدقيقة للغطاء؛ فالعربي في الصحراء والبيئة المكشوفة يرتدي العمامة طبيعياً لحماية رأسه، لكن "وجهه" بملامحه وعينيه وجبينه يظل مكشوفاً للعيان . فالكافر عندما يسير في الخارج ويلمح النبي عليه الصلاة والسلام، يظن أن وجهه ورأسه يعرضان نياته للسماء، فيقوم بحركتين استثنائيتين: يطأطئ رأسه لأسفل (يثني صدره)، ثم يسحب أطراف ردائه أو عباءته ليلقيها فوق وجهه كلياً ليدثر كامل رأسه وملامحه بنسبة 100% ﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾، ليصنع لنفسه سقفاً قماشياً بديلاً يخفي مركز تفكيره وقراره الخفي وهو المخ والدماغ

- **4- الدليل الحاسم من آيات القرآن (القرآن يفسر نفسه) :**

ولكي يزول كل شك، نترك القرآن الكريم يثبت لنا بالدليل المقارن أن "ثني الصدور" هو "ثني الرؤوس"، وذلك في موضعين :

★ **برهان آية المنافقين:** يصف الله تعالى أفعال المنافقين والمعرضين في سورة المنافقون

قال الله تعالى :- (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (5)) **(سورة المنافقون)**

وبالرجوع إلى المعاجم العربية نجد أن :

ثَنَى عِنانَ فَرَسِهِ : لَوَى وَجْهَهُ لَيّاً لِيُكَفْكِفَهُ عَنْ سُرْعَتِهِ

لاو : الذي يلوي الشيء ويثنيه

التوى الحَبْلُ وغيرُه انفتل وانثنى

فكلمة (لَوَّوْا) في لغة العرب تعني تماماً "ثَنَوْا" أو "طَوَوْا".

ولا يمكن أن يكون المقصود بلوى الرؤوس بمعنى الاستهزاء ولا الرفض العلني البحت ، لأن المنافقين كانوا يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر وكان من المستحيل في أوقات قوة المسلمين أن يظهروا الاستهزاء أو الرفض بشكل علنى لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكن الله عز وجل في القرآن الكريم أوضح لنا ما كان يفعله المنافقون و هو الاختباء والامتناع عن الاستجابة للدعوة (أي الصد والاستكبار عن الدعوة بطرق ملتوية) ، وخوفهم الدائم أن يظهر ما بداخلهم أو ينزل الله عز وجل سورة تفضحهم

ال الله تعالى :- (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ (62) أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (63) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (64))

(سورة التوبة)

قال الله تعالى :- (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون (127)) **(سورة التوبة)**

فقد كان المنافق يلجأ لحركة التوائية خفية يمتنع بها عن الاستجابة، وهي إمالة رأسه وطأطأته ليتخفى وكأنه لم يسمع الدعوة . فالحركة واحدة والنتيجة واحدة: ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ هي ذاتها ﴿لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ﴾.

قال الله تعالى :- (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا (60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا (63))

(سورة النساء)

برهان قصة سيدنا نوح عليه السلام: إن حركة طأطأة الرأس وتغطيته لرفض الدعوة هي عادة بشرية قديمة وثقها القرآن على لسان سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام وهو يشكو إعراض قومه

قال الله تعالى :- (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7)) **(سورة نوح)**

المعرضون هنا وضعوا أصابعهم في آذانهم (في الرأس)، وغطوا وجوههم ورؤوسهم كلياً بالثياب إصراراً على عدم رؤية سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام أو سماع صوته، ففروا منه فراراً بصرياً وحسياً. وهو عينه الطقس الحركي الذي تكرر مع النبي محمد عليه الصلاة والسلام في سورة هود.

النتيجة الكلية:

عندما يعقب القرآن الكريم على فعلهم الحركي هذا (طأطأة الرؤوس وتغطيتها بالثياب) بقوله: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}؛ فالمعنى البسيط المباشر هو: أن الله سبحانه وتعالى عليم بالسر الخفي، والنيات، والأفكار (القلب الإدراكي) المستقرة داخل الدماغ والمخ في تلك الرؤوس المطأطأة والمغطاة (. فما في الصدور حقيقةً.. هو ما في الرؤوس والوجوه المتقدمة .

- **5- البعد النفسي والعقائدي للاستخفاء (لماذا خافوا من النبي؟) :**

إن تتبع هذا السلوك الحركي يفتح لنا باباً لفهم العلة النفسية الكامنة في نفوس الكفار والمنافقين؛ فلماذا كانوا يثنون رؤوسهم ويغطونها بالثياب بمجرد المرور بالنبي عليه الصلاة والسلام أو سماع صوته؟

السبب الحقيقي والعميق هو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُخبرهم بوحي الله بما يدور في عقولهم وباطن ضمائرهم ويخفونه عن الناس. وبدلاً من أن يدرك هؤلاء المشركون والمنافقون أن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هو نبي حقيقي يوحى إليه، ذهبوا في عنادهم وكذبوا وقالوا إنه ساحر يعلمه الشياطين كما قالوا: ﴿هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾، وزعموا أن القرآن الكريم سحر منقول ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾.

ولكن القرآن الكريم رد عليهم وأثبت أن الشياطين معزولون تماماً عن السمع والوحي ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾، وأنه كلام الله المحفوظ المنزه عن شياطين الإنس والجن ﴿وَمَا هُوَ بِقولِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾. ولأنهم عجزوا عن مواجهة هذه المعجزات وإخبار الغيب، أصابهم الرعب النفسي، وظنوا ببساطة أنهم إذا مروا بالنبي وطأطأوا رؤوسهم (ثنوا صدورهم) ودثروا وجوههم بالثياب، فإنهم يصنعون حاجزاً مادياً يخفي ما يدور في عقولهم (رؤوسهم) عن علم الله الخفي.
وهنا ينزل التعقيب الإلهي الصاعق في ختام المشهد الحركي: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾؛ ليعلن بوضوح وبساطة أن الله سبحانه عليم بالأفكار، والنيات، والأسرار الإدراكية المستقرة داخل الدماغ والمخ في تلك الرؤوس المطأطأة والمغطاة . فما في الصدور حقيقةً في لسان التنزيل.. هو ما في الرؤوس والوجوه المتقدمة

المطلب الرابع : شهادة الحواس.. كيف تكشف لغة القرآن مكان "الصدر"؟

- **1- قانون "الحال والمحل" وتلازم ازدراء الأعين مع مستقر الصدور :**

هناك أسلوب بليغ فى لغة العرب التراثية يُعرف في علم البلاغة بـ **"المجاز المرسل بعلاقته الحالية والمحلية"**، وهو إطلاق (الحالّ) وإرادة (المحل والوعاء) الذي يحتويه ، مثل :

قال الله تعالى :- (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24)) **(سورة المطففين)**

فسبحانه أطلق الحال وهو النعيم ونضرة الوجوه ، وأراد المحل وهي الجنة ، فالجنة هي محل النعيم ونضرة الوجوه والرحمة والراحة

وأيضا :

قال الله تعالى :- (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (41)) **(سورة غافر)**

أطلق الحال وهو النجاة وأراد المحل وهو الجنة

ونفس الأمر نلمسه في الناموس البلاغي الصارم للقرآن الكريم عند الحديث عن حاسة العين؛ إذ يتم توظيفها كـ (حالّ) كاشف ومقابل لـ (المحل) الباطني المستقر

قال الله تعالى :- (وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (31)) **(سورة هود)**

(وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ) أي لا أقول للذين تستصغر وتستحقر أعينكم ، وقابل هذا الفعل القيمي البصري بآيات الكبر والاستعظام الباطني كقوله

قال الله تعالى :- (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (56)) **(سورة غافر)**

قال الله تعالى :- (أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا (51)) **(سورة الاسراء)**

(أو خلقا مما يكبر في صدوركم) أي خلق عظيم في صدوركم مثل السماء والأرض والجبال ، وطالما كانت الصدور تعظم فيها الأشياء ، فبالتأكيد أنها أيضا تصغر فيها أشياء أخرى
ولكن ما هي الصدور التي تعظم أو تصغر الأشياء فيها ؟؟

الازدراء (الاحتقار والاستهانة) والاستكبار هما في حقيقتهما من جنس فكري ونفسي واحد؛ أفعال محاكمة عقلية وتقييم قيمي صرف ، وحيث إن القرآن الكريم أسند **"الازدراء"** للعين بوصفها الجارحة الظاهرة **(الحالّ)** ، وأسند **"الكبر"** للصدر بوصفه المستقر الباطني **(المحل)** ، فإن المنطق البياني والتشريحي يوجب تلازمهما الحسي في مساحة مكانية واحدة ومحددة

ومن هنا يثبت أن الصدر المذكور في القرآن هو وعاء الرأس والجمجمة ، ليلتحم **(الحالّ والمحل)** في حيز بيولوجي وإدراكي متصل .
ويستحيل في فيزياء النظم وبلاغته أن تكون العين مجرد قناة ناقلة تلتقط الاحتقار لتهبط به إلى مضخة الدم في القفص السفلي، كما يستحيل أن يكون (المحل) هنا هو الجسد البشري كله بشكل فضفاض ومتميع؛ إذ إن تخصيص التنزيل للفظ (الصدور) مع حواس الرأس يقطع بوجود علاقة التصاق مكاني مباشر بين الجارحة الظاهرة (العين) وبين الوعاء الباطن (الصدر) .
فنظرات العين تقع في الرأس وتصدر عنه لأن المحاكمة الفكرية العميقة للكبر والاستعظام تُطبخ وتُخفى في ذات المحل المحيط بها وهو تجويف الرأس (الصدر الحقيقي)

مثال آخر :
قال الله تعالى :- (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101))
(سورة الكهف)

الأعين في غطاء عن ذكر الله فلا ينظرون لدلائل قدرة الله ويقرون بالحق ، وكذلك لا يستمعون لقول الحق ، وكل ذلك حال ، وكان المراد هو المحل ، وهو ضيق الصدر بالحق والكبر

قال الله تعالى :- (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (56)) **(سورة غافر)**

مما يعني أن العين والأذن موجودون في الصدور ، أي أن الصدور في القرآن الكريم هي الرؤوس

- **2 - برهان الطبع على السمع والأبصار وعلاقته بـ "انشراح الصدر بالكفر" :**

كما قلت سابقا فإن من أساليب البلاغة القرآنية الصارمة توظيف علاقة **(الحالّ والمحلّ)** ومنها ما ورد عن انشراح صدر الإنسان أو ضيق صدره بالإسلام ، فالصدر في حقيقته البيانية هو الوعاء والمحل الذي يستقر فيه رأي الإنسان وفكره وعقيدته . وفي نفس الوقت، نجد آيات أخرى تخبرنا بحال من يضيق صدره أو ينشرح للإسلام، وهذا الحال نراه دائماً يتجلى ويظهر في حواس الرأس، مما يعني لسانياً ونظْمياً أن الصدور هي الرؤوس

قال الله تعالى :- (فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ (125)) **(سورة الأنعام)**

إن من يقبل الإسلام ينشرح صدره له، ومن يرفضه يضيق صدره ، ولكن ما هي تفاصيل ما يحدث تشريحياً وبصرياً، وما هو حال وكيفية انشراح أو ضيق الصدور؟
نجد الإجابة واضحة في آيات أخرى يفسر فيها القرآن نفسه

قال الله تعالى :- (قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (104)) **(سورة الأنعام)**

قال الله تعالى :- (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (12)) **(سورة الحاقة)**

فالأذن الواعية والعيون المبصرة هي الأدوات الحية (الحالّ) التي يتلقى بها الإنسان الهدى ، فمن انشرح صدره للإسلام تفتحت حواس رأسه فاستمع ووعى ، ومن جعل الله صدره ضيقاً حرجاً، فإن هذا الضيق لا يقع في القفص الصدري السفلي كما يتوهم العوام، بل هو ضيق وانغلاق يصيب وعاء الرأس الحاكم؛ مما يترتب عليه تعطل كلي للحواس الكائنة فيه

والعكس بالنسبة لمن جعل الله عز وجل صدره ضيق للإسلام فانه يكون له قلب لا يفقه وأذن عليها وقر .

ويظهر هذا التلازم المكانى الصارم بشكل قاطع في سورة النحل :

قال الله تعالى :- (مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108)) **(سورة النحل)**

تأمل هذا الترابط العجيب؛ فالذي ينشرح صدره بالكفر ، يعاقبه الله عز وجل بالطبع على (قلبه وسمعه وبصره) كحزمة واحدة في نفس السياق ، فكأن على أذنه وقر ، وعلى عينه غشاوة. وبما أن السمع والبصر والوعي أدوات إدراكية مستقرة كلياً في كتلة الرأس وتتم عن طريقه ، فإن هذا يقطع بأن الصدر الذي انشرح بالكفر هو نفسه وعاء الجمجمة الرأسية المحيط بهذه الحواس . ويستحيل في فيزياء النظم وبلاغته أن يقع فعل "الشرح بالكفر" في القفص السفلي للأحشاء، ثم يقع عقاب "الطبع" منفصلاً في الرأس الأعلى ، بل هو وعاء سيادي واحد (الرأس) انغلق وعيه فتعطلت حواسه .وهذا يعني أيضاً أن "القلب" في القرآن الكريم ليس العضلة الحمراء المفرغة بالأسفل، بل هو اللُّب والدماغ المستقر داخل وعاء صدارة الجسد (الرأس) . ونرى ذلك واضحاً في :

قال الله تعالى :- (مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (178) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)) **(سورة الأعراف)**

لهم أعين لا يبصرون بها وأذن لا يسمعون بها ، لأنهم يهربون ولا يعون ما يرونه أو ما يسمعونه فهم لا يستخدمون أذنهم و أعينهم في الاستخدام الصحيح

فالقرآن هنا يربط ربطاً عضوياً حتمياً بين القلوب التي لا تفقه، وبين الأعين التي لا تبصر، والآذان التي لا تسمع . وحيث إن العين والأذن في الرأس، فإن القلوب التي تفقه (الألباب والعقول) تشاركهم نفس المحل المكانى ، مما يؤكد أن الصدر القرآني الذي ينشرح ويضيق ويُطبع عليه.. هو الرأس والوجه حصرًا

ونرى قاعدة **(الحالّ والمحلّ)** يتجلى في أبهى صوره الإعجازية عندما نتأمل **"الحزمة الطامسة"** التي يضعها القرآن الكريم على الكافر الذي ضاق صدره عن الهدى وانشرح للكفر؛ فالقرآن يصف حالة الانسداد الفكري بإنزال (أحوال وأعراض) تحجب الإدراك كـ **"حالّ"** طامس، وهي: (الغطاء، والأكنّة، والوقر) كما ورد في سورة الكهف :

قال الله تعالى :- (وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101)) **(سورة الكهف)**

فهؤلاء الذين ضاق صدرهم للإسلام، حلّ على أعينهم "الغطاء" وحلّ على آذانهم "الصمم"

ويكشف لنا القرآن عن "المحل والمستقر" الباطن الذي تنزل عليه هذه الأغطية في سورة الإسراء والأنعام والكهف؛ حيث يقول سبحانه :

قال الله تعالى :- (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (46)) **(سورة الاسراء)**

قال الله تعالى :- (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ (25)) **(سورة الأنعام)**

قال الله تعالى :- (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57))
(سورة الكهف)

تأمل هذا التطابق البلاغي العجيب؛ فالقرآن يقرن دائماً بين "الأكنّة" (وهي أغطية الحالّ المانعة للفقه والتدبر على القلوب) وبين "الوقر" (وهو ثقل الحالّ المستقر في الآذان) . وحيث إن الأذن هي (المحل) الجغرافي المستقر حصرًا في كتلة الرأس، فإن القلوب التي ركبتها الأكنة تشارك الأذن ذات (المحل والوعاء الطبيعي المحيط بها) . فلا يمكن لسانياً ولا بلاغياً أن يفرّق القرآن بين "أحوال الطمس" فيجعل الوقر حَالاّ في أذن الرأس بالأعلى، ويجعل الأكنة حَالّة في مضخة الدم بالأسفل، بل يجمعهما النظم كأحوالٍ مجتمعة طمست (محلاً ووعاءً سيادياً واحداً) وهو الرأس

ولا يستقيم في فقه النظم البلاغي أن يُقال إن العلاقة هنا هي مجرد أمر أو قيادة تصدر من عضو سفلي متباعد (كمضخة الدم) ليتحكم في حواس الرأس بالأعلى، فالقرآن الكريم يعطف الطبع والأكنة على القلوب والسمع والأبصار بـ **(واو العطف والمعية التي تفيد القِران الزمني الفوري الشامل)** كحزمة واحدة تقع تحت طمس إلهي مشترك في ذات الجزء من الثانية: {طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ} (سورة النحل: 108) .

وهذا التلازم الصارم يقطع بأن الطبع لم يستهدف أعضاءً متباعدة مكانيا تتراسل فيما بينها، بل استهدف (منظومة محلية مدمجة وكتلة بيولوجية وإدراكية واحدة)؛ نزل عليها حجاب الطمس كلياً في ذات اللحظة، فغُلّف مركز قيادتها الحاكم في الرأس (الدماغ/القلب) وسُدّت في ذات الوقت منافذه العصبية المتصلة به مباشرة (الآذان والأعين)، مما يثبت أن وعاء هذا الطبع المشترك.. هو الرأس

ولذلك نجد في :

قال الله تعالى : - (مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106)) (سورة النحل)

{وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا } عبر هنا بمكان واحد عن تفاصيل ما يحدث وهو {طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ} (سورة النحل: 108) ، مما يثبت أن موضع القلب المقصود بالتفكير والتدبير يقع في نفس مكان الأذن والعين

ويؤكد هذا التلازم البلاغي قوله تعالى في سورة لقمان تلازماً مع الاستكبار الفكري:

قال الله تعالى :- (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (7)) **(سورة لقمان)**

فالاستكبار الفكري وحال الوقر يقعان في ذات المحل وهو الرأس..

وتأتي القفلة البلاغية القاضية والحاسمة في سورة الحج، لتربط كل هذه الخيوط وتعلن موضع الصدر والقلب الحقيقية بكل وضوح :

قال الله تعالى :- (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)) **(سورة الحج)**

إن التدبر البلاغي هنا يفرض نفسه؛ فالقرآن يقابل بين نوعين من الجوارح في ذات الكتلة البشرية: فينفى عمى "الأبصار" (وهي الجارحة الظاهرة كـ حَالٍّ في الوجه ورأس الإنسان) ، ويثبت عمى "القلب" (وهو اللب الباطن كـ حَالٍّ إدراكي مستقر داخل وعاء صدارته وهي الجمجمة) . وتحديد القرآن للموضع بـ ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ هو تحديد للمحل المكانى المحيط بـ (القلب الإدراكي والأبصار والأعين).

والخلاصة البلاغية من هذه الأدلّة المتضافرة: أن هؤلاء الكفار يملكون بحكم الخلق جهازي السمع والبصر كـ (حالّ) ظاهر في الرأس ، ولكنه بصر وسمع بلا فائدة حقيقية؛ لأن مركز المعالجة والفقه والوعي المستقر في ذات المحل (الصدر/تجويف الجمجمة الرأسية) قد حلّت عليه الأكنة وطُبع عليه بالكلية، فتعطل وعاء صدارتهم وفقدوا الألباب .

تفسير فسيولوجي وحركي لمعادلة ضيق وانشراح الصدر :

من أعظم الشواهد النظمية التي تُجلي حقيقة جغرافيا "الصدر" في القرآن الكريم، ما ورد في تصوير الحالة الفسيولوجية والحركية لضيق هذا الوعاء أو انشراحه :

قال الله تعالى :- (فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ (125))

(سورة الأنعام)

لقد استقر في أذهان الكثيرين قديماً أن هذه الآية الكريمة تتحدث عن منطقة القفص الصدري أسفل العنق، بناءً على فهمهم الحسي العابر بأن الصعود إلى المرتفعات الشاهقة لا يسبب للإنسان إلا ضيق النَّفَس وميكانيكية التنفس بالرئتين .

ولكن المراجعات الطبية المعاصرة وتقارير الصحة العالمية (مثل دليل MSD الإرشادي لأمراض المرتفعات الشاهقة) تكشف عن حقيقة فسيولوجية أعمق :

★ إذ يتبين أن نقص الأكسجين عند الارتفاع الشاهق يضرب بالدرجة الأولى والأشد خطورة كتلة (الدماغ والمخ داخل الجمجمة)، مسبباً أعراضاً حتمية تبدأ بالصداع الحاد، والتهيج، والتشتت الذهني، وصولاً إلى الوذمة الدماغية الخطيرة (AMS / HACE) ، وهو عرض مشترك وحتمي يلازم الكائن في صعوده

★ وعند المقابلة السلوكية، نجد أن التوتر والإجهاد العاطفي والنفسي وسماع الإنسان لخطاب يزعجه ولا يعجبه، يفرز فسيولوجياً ما يُعرف طبياً بـ (صداع التوتر - Tension Headache) ؛ وتشير التقارير الطبية (مثل تقارير Mayo Clinic) إلى أن هذا الصداع يتجسد حسياً على شكل شريط ضاغط ومُضيّق بشدة يلتف حول مقدمة الرأس والناصية والمنطقة المحيطة بالعينين وكأن شيئاً عظمياً يشد عليه . هذا التناظر الحركي الدقيق يثبت أن الضغط والتضييق الفسيولوجي الناتج عن رفض العقيدة (الضلال) يقع كأثر حسي مشترك في مقدمة الرأس (الناصية) تماماً كالتضييق والضغط الحادث عند صعود الأماكن المرتفعة

★ **ولإحكام الحجة وتجلية الفارق الدلالي؛ دعنا نتأمل عكس هذا الضيق وهو (انشراح الصدر للهداية) :**

قد يعتقد البعض أن المقصود هو ضيق أو تمدد واتساع مادي، فيظن أنها تنطبق على الأنفاس التي تتغير وتضيق ميكانيكياً عند سماع ما يوتر الإنسان ، وهو رصدٌ صحيحٌ فسيولوجياً، ولكنَّ القائلين به يخلطون بين (مصدر القرار) و(مكان ظهور الأثر اللاحق)؛ فالرئتان أسفل العنق لا تسمعان الخطاب ولا تملكان وعياً لرفضه، بل إن التوتر ينقدح أولاً كصدمة فكرية ورفض عقائدي داخل الفص الجبهي للدماغ في الرأس، مما يصنع (صداع التوتر الحزامي) كحدث أصلي وأول، ثم يرسل الدماغ إشاراته لتنقبض عضلات النفس والنبض كأثر بدني لاحق ومطيع لصدمة الرأس الحاكمة.

ومن جهة أخرى، نجد أن الإنسان عندما يقتنع بكلام يبهجه ويرتاح له في لحظته؛ لا يحدث تمدد فيزيائي زائد أو اتساع ميكانيكي لعضلات الرئة خارج حدود سعتها الثابتة خِلقةً. فنعم، قد يزعم ناقدٌ طبيٌّ أن الرئة تتوسع مرونياً بالشهيق العميق أثناء الارتياح، ولكنَّ هذا التوسع هو مجرد حركة ميكانيكية ترددية مؤقتة (شهيق وزفير) تعود لحجمها الأصلي في ثوانٍ، دون أن تزيد سعة الرئة الكلية أو تنكشف وتتفرع قنواتها باطناً .

ولكنَّ النصَّ القرآنيَّ استخدم لفظ ﴿يَشْرَحْ﴾، والشرح في المعاجم يعني (البسط، والتوسعة، وكشف ما خفي من بواطن الشيء وتفصيله)، ولأن النظم القرآني قابل هذا الانشراح في وعاء الهدى بـ (تضييق وضغط حسي حركي حاد) في وعاء الضلال ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ ؛ فإن هذا التلازم يقطع بأن الشرح في الآية هو حدث فسيولوجي وبنائي حقيقي ، وهو القانون الفسيولوجي الذي يفشل تماماً في حالة الرئة، وينطبق حصرًا وبشكل مطلق على وعاء الرأس (الدماغ ومقدمة الرأس/الصدر الحقيقي) .

فنجد أن لفظ ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ جاء بصيغة المضارع الدالة على التجدد والحدوث الممتد والمتكامل فهو ليس انشراح لحظى فقط بل يمتد . **وتكشف كشوف علم الأعصاب المعاصر أن قبول القناعات الفكرية والارتياح النفسي يُحدث ثورة فسيولوجية ميكانيكية شاملة داخل وعاء الرأس (الجمجمة) تجمع بعبقرية بين مستويين زمنيّين متكاملين:**

الأول: انشراح لحظي فوري (اللدونة الوظيفية الكهربائية): ويحدث في لحظة انقداح اليقين والارتياح لفكرة الحق ، فيُحدث حالة ميكانيكية من (اللدونة العصبية الوظيفية الفورية - Functional Neuroplasticity) داخل الدماغ ومقدمة الرأس ؛ حيث يتدفق هرمون الدوبامين والسيروتونين ليصنع **انفتاحاً وتسهيلاً كهربائي وكيميائى فورياً في الممرات والمشابك العصبية الحاكمة للإدراك بين خلايا الفص الجبهي** ، مما يرفع كلياً وفي ذات اللحظة من كفاءة الانتباه والتحليل، ويزيل تشنج وضغط التوتر الحزامي عن الجمجمة .

الثاني: انشراح تراكمي مستدام (اللدونة البنائية عبر السنين): ويواكب رحلة الهداية والبحث الطويلة التي قد تستغرق شهوراً وسنوات من المقارنة الفكرية والتأمل التراكمي ؛ حيث أثبتت الأبحاث المخبرية أن الاستمرار على هذا النمط المعرفي يؤدي مادية وتشريحياً إلى زيادة حقيقية في كثافة المشابك العصبية (Synapses) وتوسيع شبكات الروابط العصبية الحاكمة للتعقل والإدراك في الرأس (Poulose et al., 2014) وتسمى هذه الظاهرة باللدونة العصبية Neuroplasticity .

هذا التماثل المزدوج (فورية التدفق كيميائياً واتساع الروابط بنائياً عبر السنين) هو الوصف الذي ينفرد به فسيولوجياً وعاء صدارة الكيان البشري وهو الرأس. في حين تبتعد عضلات القفص الصدري السفلى عن هذا تماماً؛ إذ تعمل الرئتان طوال حياة الإنسان في حدود سعتها الميكانيكية الحركية الثابتة خِلْقةً دون وجود أي اتساع تراكمي أو وظيفي ناتج عن قبول القناعات العقائدية

- **3- برهان التناظر بين العمى الإدراكي والاعتبار بأولي الألباب والأبصار :**

نستمر في تتبع قاعدة **(الحالّ والمحلّ)** البلاغي في النظم القرآني لنرى كيف تلتحم الحواس الظاهرة مع العقل الباطن في وعاء واحد ، ويتجلى ذلك بوضوح عند تفكيك عملية **"الاعتبار والتذكر"** في آيات التنزيل .

ففي الآية الختامية من سورة يوسف، يطلق الله عز وجل فعل "الاعتبار بالقصص" ويجعله صفة حصرية لأصحاب العقول :

قال الله تعالى :- (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)) **(سورة يوسف)**

وفي المقابل النظمي، نجد القرآن الكريم في مواضع أخرى يسند ذات الفعل (الاعتبار بالعبر والحوادث المادية المشهودة) إلى أصحاب الأبصار ، ويربطه بقرائن بصرية حية تقع عليها العين الجارحة في الرأس ، ففى سورة الحشر بعد مشهد مادي حركي لهدم البيوت :

قال الله تعالى :- (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (2)) **(سورة الحشر)**

ويقيد الله سبحانه هذا الفعل البصري بقرينة الرؤية العينية الحقيقية والمباشرة للأحداث في غزوة بدر؛ حيث يقول في سورة آل عمران :

قال الله تعالى :- (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (13))
(سورة آل عمران)

فهذا التحديد الحاسم بعبارة (رَأْيَ الْعَيْنِ) يقطع لسانياً بأن الأبصار المعنية هنا هي الجارحة المادية الباصرة في الوجه، وليست مجازاً معنوياً

ونفس الأمر نلمسه في سورة النور؛ حيث يربط القرآن العبرة بتحول كوني فيزيائي تراه العين كل يوم :

قال الله تعالى :- (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (44)) **(سورة النور)**

وقال في ذات السياق الكوني المشهود في سورة آل عمران :

قال الله تعالى :- (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ (190)) **(سورة آل عمران)**

إن هذه المقابلة النظمية المحكمة تصنع معادلة عقلية قاطعة، فالقرآن جعل **"الاعتبار بالعبر"** تارة من فعل **(أولي الألباب)** وتارة من فعل **(أولي الأبصار)**، مما يثبت لسانياً وبنيوياً أن أولي الأبصار هم أنفسهم أولي الألباب .

وعند تطبيق قانون البلاغة، نجد أن **"البصر"** (الرؤية بالعين الظاهرة) و"اللب" (التعقل بالدماغ الباطن) **هما (حَالَّانِ) ووظيفتان متلازمتان تقعان وتستقران داخل (مَحَلٍّ وَوِعَاءٍ وَاحِدٍ) وهو الرأس (الجمجمة)** . فالعين كـ (حالّ) تلتقط الصورة من الخارج، والمخ كـ (حالّ) يتدبر العبرة في الباطن، وكلاهما يسكنان ذات البيت والوعاء وهو الرأس . وبما أن القرآن يطلق على وعاء التدبير والوعي لفظ (الصدر)، فإن الصدر في لغة التنزيل هو وعاء الرأس والوجه الذي شرحه الله عز وجل لرؤية وفهم الحق، وليس القفص السفلي للأحشاء الذي لا يبصر ولا يعتبر

- **4 - برهان التلازم السلوكي والنظمي بين "انشراح الصدر" و"تسليم الوجه" :**

والأن ننتقل إلى أرقى مستويات قانون (الحالّ والمحلّ) البلاغي في النظم القرآني ، حيث ننتقل من حواس الرأس الجزئية (العين والأذن) إلى الكتلة الظاهرة للرأس كاملة ممثلة في **"الوجه البشري"** . ففي بيان التنزيل، يُطلق القرآن الكريم الواجهة الظاهرة (الحالّ) وهي الوجه، ويريد بها الوعاء والمستقر الباطن (المحل) وهو الصدر، مما يقطع لسانياً بأن الصدر في القرآن الكريم هو الرأس .

فنجد في سورة الأنعام يبين الله عز وجل محل قبول العقيدة

قال الله تعالى :- (فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ (125))
(سورة الأنعام)

وفي المقابل النظمي والسلوكي الفاصل، نجد القرآن الكريم يعبّر عن هذا القبول والانشراح التام لرسالة الإسلام بفعل تسليم **"الوجه"** ظاهراً :

قال الله تعالى :- (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20))
(سورة آل عمران)

قال الله تعالى :- (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً (125))   **(سورة النساء)**

إن هذا التلازم النظمي يضعنا أمام تطابق بياني حتمي ، فالذي ينشرح صدره للإسلام، هو نفسه الذي يُسلم وجهه لله عز وجل . وتتجلى بلاغة **(الحالّ والمحلّ)** في أن "الوجه" بملامحه وعينيه وأذنيه الواعية هو (الحالّ) والواجهة البارزة الشامخة التي يواجه بها الإنسان ربه والعالم، بينما "الصدر" (تجويف الجمجمة) هو (المحل والوعاء الباطن) الذي يقع فيه انشراح الفكرة والقرار العقلي بالهداية .

وحتى لو زعم زاعم أن ذكر "إسلام الوجه" هو مجرد كناية بلاغية لأن الوجه هو **"مظهر الإنسان وأشرف أعضائه وأساس وجهته"**، فإن هذا الزعم هو إقرار وتثبيت ضمني لفكرة البحث ، لأن اعتراف الناقد بأن الوجه هو مظهر الإنسان طليعياً وأساس وجهته، هو اعتراف صريح بالقاعدة الهندسية المادية لـ **(الصدر)** في لسان العرب البكر ، حيث إن الصدر هو أعلى مقدم كل شيء وأوله وواجهته البارزة.

إن اختيار الله عز وجل ببالغ حكمته لسمت (الوجه) في هذا المقام ليس مجرد مجازٍ عابر، بل هو تقرير للحقيقة الخِلْقية القائمة؛ فالوجه هو صدر الإنسان الفعلي، والجهة الطليعية البارزة التي يجابه بها الكيان فضاءه خِلقةً ووظيفةً

ويستحيل في هندسة الجسد وبلاغة النظم أن يكون محل انشراح العقيدة والهداية مستقراً في تجويف القفص الصدري السفلى للأحشاء، بينما يُسند فعل الاستسلام العقلي والاهتزاز السلوكي إلى "الوجه" في الأعلى ككتلتين منفصلتين مكاناً . بل إن **"الوجه"** هو صدر الجسد الظاهر، و**"الجمجمة"** هي صدره الباطن؛ فإذا انشرح باطن الرأس بالفكرة والهدى، تفتحت حواسه وأسلمت واجهته (الوجه) بكامل الانقياد واليقين لله، مما يؤكد قطعاً أن الصدور في لغة التنزيل البكر.. هي الرؤوس والوجوه

• المبحث الثالث: التأصيل الدلالي واللساني لمفهوم القلب واللُّب

بناءً على السرد التأسيسي لآيات الذكر الحكيم في سورتي الحج والأعراف؛ حيث يربط البيان الإلهي وظائف الوعي والتدبير بالقلوب في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (الحج: 46)، وقوله سبحانه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (الأعراف: 179)، ينشأ تساؤل مركزي يفرض نفسه على الباحث المستقل: **هل يساند النص القرآني المفهوم المعاصر الذي يحصر "القلب" في مضخة الدم العضلية المستقرة في التجويف الصدري (بمفهومه الحالي) ، أم أن الآيات تشير إلى كينونة فسيولوجية ولسانية مختلفة تماماً ؟**

إن التتبع التاريخي المنهجي لتطور الدلالة يبرهن أن الفهم المعجمي والتفسيري المتأخر قد خضع لـ **"إزاحة دلالية" (Semantic Shift)** تدريجية نتجت عن مؤثرات وافدة تلت عصر نزول القرآن الكريم تأثرت بالفلسفة الأرسطية التي تبنت **"فرضية مركزية العضو الذي يضخ**

الدم" (Cardiocentric hypothesis) كمصدر حصري للتعقل والتفكير (Crivellato & Ribatti, 2007) .

وحين نرفع هذا اللبس ونتدبر حقيقة اللفظ ببساطة، نكتشف أن **"القلب"** في أصل لسان التنزيل يُطلق تارةً ليدل على الوظيفة المعنوية وهي **(الفِكْر، والوعي، والنيات المتقلبة)** كما في (سورة البقرة: 7) و(سورة النحل: 108)، حيث جاء ذكره مقترناً مع السمع والأبصار، وهي حواس وقدرات إدراكية وليست أعضاءً مادية. ويُطلق تارةً أخرى ليدل على العضو الجسدي المادي (الوعاء) الذي تختمر وتُطبخ في باطنه تلك الأفكار؛ كقوله تعالى في (سورة المائدة: 41) و(سورة الأعراف: 179) . فالكلمة تعبّر عن الوظيفة وعن العضو الحاضن لها في آنٍ واحد.

ولكن أين هذا العضو ؟!

ان احتكمنا للمعاجم اللغوية فإن تدوينها تم متأخر وبعد التمازج الثقافي؛ ولذلك حتى نعرف أي عضو كان يقصده القرآن الكريم سوف نحتكم لثلاثة أشياء وهي :

- معنى وأصل اللفظ (القلب) في لسان العرب ومدى انطباقه على أعضاء الجسم خاصة من حيث الشكل والوظيفة ، فالعربى كان يقوم باطلاق المسميات على الأشياء بناء على شكلها
- موقع القلب كما حدده القرآن الكريم وهو (الصدور) والتي هي أيضا كما توضح في المبحث الأول تعرضت لازاحة دلالية إلا آن وصف القرآن الكريم له كما توضح في المبحث الثاني أوضح لنا أنه لا يمكن أن يكون منطقة القفص الصدرى بل بآية واضحة وصريحة أنه ناصية الإنسان
- آيات القرآن الكريم التي تحدد أين موضع شرح وضيق صدر الإنسان

المطلب الأول : المقابلة التشريحية والوظيفية لمعاني "القلب" في الجسد

لم يكن لسان العرب البِكر يطلق أسماء المصطلحات والأعضاء في الجسد البشري اعتباطاً أو بارتجال عشوائي؛ بل كان العربي بطبيعته الفطرية يتأمل الكون والبيئة من حوله، ليلتقط التشابهات الهندسية، أو الميكانيكية، أو البصرية بين مظاهر الطبيعة وبنية الإنسان، ثم يشتق اسم العضو البشري بناءً على ذلك الأصل العام المشهود في حركة الحياة.

وحين نرفع اللبس التاريخي والتدويني عن مادة (قَلَبَ) في لسان العرب بناءً على هذا الناموس اللساني المطرد، نكتشف أن كل المعاني الأساسية للكلمة تدور في فلك أمرين: (حركة الفكر الباطن، واللُّب الخالص الصافي المحمي). وعند إسقاط هذه المعاني الكلية على بنيان الجسد البشري، نجدها تنطبق بالتمام والكمال على "الرأس وجوف الجمجمة وعضو المخ"، بينما تسقط وتنعدم تماماً مكاناً وتشريحاً وفسيولوجياً عند محاولة حشرها قسراً في "عضلة مضخة الدم السفلية"؛ ويتضح ذلك في ثلاثة براهين قاطعة:

1- البُعد الوظيفي: (الْقَلْبُ هُوَ تَقْلِيبُ الْأُمُورِ وَفَحْصُهَا) :

- **أصل المعنى لغوياً:** ينص لسان العرب على أن:

الْقَلْبُ: تَحْوِيلُ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ

قَلَبَ الْأُمُورَ: بَحَثَهَا، وَنَظَرَ فِي عَوَاقِبِهَا.

كما ورد في لسان العرب على حوار دار بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والشاعر جرير :
بَيْنَا يَكَلِّمُ إِنْسَاناً إِذِ انْدَفَعَ جَرِيرٌ يُطْرِيهِ وَيَطْنُبُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ يَا جَرِيرُ؟ وَعَرَفَ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: ذَكَرْتُ أَبَا بَكْرٍ وَفَضْلَهُ، فَقَالَ عُمَرُ: "اقْلِبْ قَلَابِ"، وَسَكَتَ.»
ويشرح ابن الأثير في لسان العرب معنى قول عمر (اقْلِبْ قَلَابِ):«هَذَا مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ تَكُونُ مِنْهُ السَّقْطَةُ، فَيَتَدَارَكُهَا بِأَنْ يَقْلِبَهَا عَنْ جِهَتِهَا، وَيَصْرِفَهَا إِلَى غَيْرِ مَعْنَاهَا.»

يعني جرير سقط سقطة كلامية أغضبت عمر، فـ (تداركها فكرياً) وبدّل نيتّه وكلامه ليزعم أنه يمدح أبا بكر. فخاطبه عمر بالمثل: **(اقْلِبْ قَلَابِ)**؛ أي: لقد قَلَبْتَ فِكْرَتَك، وحوّرت نيتك، وغيرت وجهة كلامك لتنجوا!
هذه الأفكار، والقناعات، والخطط الخفية هي التي وصفها التنزيل العزيز في سورة التوبة بقوله: ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾؛ فالأمور التي قَلَبَها ودبّرها المنافقون ضد النبي عليه الصلاة والسلام لم تكن كُتلاً لحمية تُضخ، بل كانت أفكاراً ومؤامرات طُبخت في عقولهم داخل الرؤوس.

فالإنسان لكي يفحص أمراً، فإنه يحتاج فيزيائياً وعقلياً إلى "تقليب المسألة" على كافة وجوهها ليرى باطنه وظاهره

- **التطابق مع الجمجمة والمخ:** هذا المعنى ينطبق وظيفياً وفسيولوجياً بنسبة 100% مع عضو **"المخ والدماغ"**، وتحديداً **(القشرة الجبهية الأمامية - Prefrontal Cortex)** المستقرة داخل الرأس ؛ فهو العضو والمركز التنفيذي الأعلى المسؤول حصرياً في الطب الحديث عن معالجة المعلومات، الموازنة بين البدائل، فحص النوايا، واتخاذ القرارات الأخلاقية والواعِيّة .

والأهم في ذلك أن هذا العضو ينطبق مكانيا مع كلمة (صدر) فهو (صدر الرأس) التي بدورها صدر الإنسان وبروزه وقمته ، وهو نفسه الناصية من الخارج التي نسب إليها القرآن الكريم الخطأ والكذب

- **طبيعة عمل المضخة العضلية لا توحي بـالتقلب:** حين نُحاكم ميكانيكية عمل مضخة الدم أسفل العنق، نجد أن طريقة عملها الفيزيائية والفسيولوجية لا يمكن أن توحي للإنسان بـالتقلب أو تمنحها هذا الاسم لغويّاً؛

ولكي نضع أنفسنا بدقة مكان العربي قديماً في بيئته الفطرية؛ فإن التسمية لم تكن مبنية على افتراض ثبات الأعضاء هندسياً داخل الجسد الحي، بل كانت نتاج "الأمانة البصرية" المشهودة

عند جزر الأنعام وذبح الذبائح في الصحراء؛ حيث كان العربي يرى فارقاً حركياً وبصرياً حاسماً بين العضوين :

التموج الحركي للباطن: كان العربي يرى كتلة الدماغ والمخ الرخوة الشحمية وهي **تتحرك حركات اهتزازية موجية، وتختلج وتتموج بوضوح لثوانٍ طويلة بعد خروج الروح بفعل السائل المحيط بها،** فضلاً عن شكل تلافيفها الهندسي المنطوي والمنقلب ظهراً لبطن كأنه بنيان مُحوّر. فربطت فطرته اللسانية بين هذا التموج الحركي الباطني وبين "تقلب خواطره وأفكاره ونواياه المعنوية" التي لا ترسى على حال داخل رأسه . في حين كان يرى المضخة العضلية السفلية عبارة عن كتلة لحمية حمراء صلبة، منقبضة ومصمتة، تموت وتسكن فوراً بمجرد نزف الدم ونفوق الحيوان، فلا تعطي تشريحياً أي إيحاء بالتموج أو التقلب الدائري

لذلك من الطبيعي أن يرى الدماغ (قلب) متقلب ولا يراه في مضخة الدم

تغير النبض ليس تقلباً: إن حركة مضخة الدم هي حركة (انقباض وانبساط متكرر في مكان ثابت صامت)، تشبه حركة المكبس . وهذا في لسان العرب لا يُسمى "تقلباً" بل هو (خفقان، ورجفان، وانقباض، وانبساط في مكان ثابت صامت)، فالتقلب مشروط هندسياً بـ (التحوّل، ودوران الواجهة كلياً، وتبدل الشيء من حال إلى حال مضاد) كـ تقلب صفحة الكتاب.

تغير النبض تابع عصبي وليس قراراً ذاتياً: إن تسارع ضربات مضخة الدم أو تباطؤها بالتزامن مع المشاعر الإنسانية (كالخوف والفرح) لا يعبر عن تقلب ذاتي نابع من داخلها؛ فالطب العصبي يثبت أن المضخة عضو منفذ وأعمى فسيولوجياً، وتغير دقاتها هو مجرد (أثر رجعي ورد فعل ميكانيكي لاحق) لإشارات عصبية وهرمونية (كالأدرينالين) صادرة في الأصل من **المخ والجهاز العصبي المستقل في الرأس**. فالعين في الرأس هي التي تبصر الخطر أولاً، والناصية هي التي تقود قرار الفزع والهروب أو الكذب (كما ورد في القرآن الكريم) ، ثم يتبع ذلك خفقان ورجفان الصدر . ولأن لسان العرب لا يُسند التسمية للتابع المنفذ (المضخة التي أسموها الجنان لاستتارها

في الضلوع)، بل للمتبوع القائد وموطن تقلب الخواطر؛ استقرت الحقيقة الوظيفية لـ قلب الرأس ودماغه المفكر

2- البُعد التشريحي البصري: (الْقَلْبُ هُوَ اللُّبُّ وَالْجُمَّارُ الْأَبْيَضُ) :

- **أصل المعنى لغوياً:** ينص لسان العرب على أن:

قَلْبُ كُلِّ شَيْءٍ: لُبُّهُ، وَخَالِصُهُ، وَمَحْضُهُ» .

قَلْبُ النخلةِ وقُلْبُها وقِلْبُها : لُبُّها ، وشَحْمَتُها ، وهي هَنةٌ رَخْصةٌ بَيْضاءُ ، تُمْتَسخُ فتُؤْكل ، وفيه ثلاث لغات : قَلْبٌ وقُلْبٌ وقِلْبٌ .

والقَلْبُ : هو الجُمَّارُ ، وقَلْبُ كلّ شيءٍ : لُبُّه ، وخالِصُه ، ومَحْضُه ؛ تقول : جئْتُك بهذا الأَمرِ قَلْباً أَي مَحْضاً لا يَشُوبُه شيءٌ .

وفي الحديث : إن لكلِّ شيءٍ قَلْباً ، وقلبُ القرآن يس .

وقولهم : هو عربيّ قَلْبٌ ، وعربية قَلْبة وقَلْبٌ أَي خالص ، تقول منه : رجل قَلْبٌ ، وكذلك هو عربيٌّ مَحْضٌ

- **التطابق مع الجمجمة والمخ:** هذا الوصف البصري والتشريحي هو مرآة دقيقة لبنية "المخ البشري" داخل تجويف الجمجمة الشامخة في الأعلى ؛ فنسيج الدماغ العصبي (المادة البيضاء والـ Myelin) هو نسيج دهني شحمي ناعم، يميل لونه بوضوح إلى البياض الغض اللين، ويقبع مستخلصاً ومستوراً كلياً داخل قالب الجمجمة الصلب لحمايته، تماماً كجمّار وقب النخلة الأبيض .

- **الافتراق التام عن مضخة الدم:** هذا الوصف يصطدم تماماً مع شكل وطبيعة عضلة ضخ الدم ؛ فالمضخة العضلية ليست لباً أملس ولا بيضاء تشريحياً، بل هي عضلة حمراء اللون، صلبة ومصمتة، مليئة بالأوعية الدموية والشرايين والأوردة الداكنة المزدحمة ،

ولا تشبه جمار النخلة الأبيض اللين لا في لونه النقي ولا في طبيعته الرخوة المستخلصة.

يعني لو أراد العربي أن يطلق على عضو في جسم الإنسان كلمة قلب لتتناسب مع إطلاقه كلمة قلب على قلب النخل ، فسيكون بالتأكيد الدماغ الذي يشبه قلب النخلة شكلا وموقعا فكلاهما في أعلى الجسم وكلاهما يميل لونه للأبيض . ولا يمكن أن يطلقه على تلك اللحمة الحمراء المليئة بالدم الأحمر التي لا تنطبق عليه لا شكلا ولا موضوعا

3- البُعد الهندسي الهيكلي: (الْقَلْبُ هُوَ الْقَالَبُ وِعَاءُ الصِّيَاغَةِ) :

- **أصل المعنى لغوياً:** ينص لسان العرب على أن:
  الْقَالَبُ وَالْقَالِبُ: الشَّيْءُ الَّذِي تُفْرَغُ فِيهِ الْجَوَاهِرُ، لِيَكُونَ مِثَالاً لِمَا يُصَاغُ مِنْهَا .
  ويُقال للرجل البليغ الفصيح: «قَدْ رَدَّ قَالَبَ الْكَلَامِ»؛ أي صاغ أفكاره وعباراته بـإحكام قبل نطقها.

- **التطابق مع الجمجمة والمخ:** ينطبق هذا المعنى الهيكلي على **"تجويف وقالب الجمجمة العظمي الأمامي العلوي" (صَدْر الرأس)** ؛ فهو الوعاء والمحيط الهندسي الصارم والمحكم الذي صِيغَ عضو "المخ" داخل حدوده ، لتُفرغ وتُطبخ في باطنه أثمن جواهر الإنسان المعنوية وهي: الأفكار، والذاكرة، والبلاغة، وقالب الكلام الواعي .

- **الافتراق التام عن مضخة الدم:** يسقط هذا المفهوم تماماً عند إسقاطه على مضخة الدم في الجسد السفلي؛ فـالتجويف المحيط بها (القفص الصدري بمفهومه الحالي) هو بيئة فسيولوجية مزدحمة تفتقر لصفة "القالب الهيكلي المخصص للجواهر" ؛ إذ تشغل الرئتان اليمنى واليسرى المساحة الأكبر منه، ويخترقه المريء والقصبة الهوائية .

والمضخة ليست وعاءً تُفرغ فيه الأفكار أو يصدر عنه قالب البلاغة والكلام، بل هي جزء من منظومة ميكانيكية حركية مزدحمة ومحجوبة

تفسير نشوء الوهم التاريخي والإزاحة الدلالية:
بناءً على هذه المقابلة الصارمة، يتضح للقارئ البديهي أن كل اشتقاقات الكلمة (تقليب الأمور، الُلب الأبيض الصافي، وعاء صياغة الجواهر والكلام) تشير تشريحياً ووظيفياً لـ منظومة الرأس والمخ في صدارة الإنسان .ولكن الأزمة التدوينية الطارئة نشأت نتيجة **"إزاحة دلالية" (Semantic Shift)** تلت عصر نزول القرآن؛ بعد موجات الترجمة وتأثر الشراح المتأخرين بـ **"الفرضية الأرسطية لمركزية مضخة الدم" (Cardiocentric hypothesis)** كمصدر حصري للتفكير . ومع تأخر العرب في التدوين اللغوي، قسر المتأخرون مسمى الصدر على "المنطقة أسفل العنق" لتوائم المفاهيم اليونانية الوافدة، فحشروا "القلب الإدراكي" (العقل والفكر) في العضلة الميكانيكية السفلية الصامتة، مناقضين تماماً أصل وضع المادة في لسان الأوائل

المطلب الثاني: التباين المادي والتشريحي بين تجاويف الجسد البشري

ومن هذا المنطلق اللساني والتشريحي الصارم، يتبين التباين المكاني الحاسم بين تجويفين في الجسد البشري:

أولاً: تجويف القحف والجمجمة (Cranial Cavity):
يمتاز هذا التجويف بعزلة فيزيائية تامة، وهو وعاء لعضو سيادي واحد مستخلص ومهيمن، يشغل الفراغ ككتلة مستقلة محاطة بأغشية حامية وسائل دماغي، تماماً كـ "لُب الجوزة" المستخلص داخل قشرته الخشبية (Standring, 2020). وبسبب هذا الخلوص والصفاء

والمركزية الإدراكية، أطلقت عليه لغة العرب لفظ "اللُّب" و"الْقَلْب" (أي لُب الكيان البشري وعقله الحاكم).

ثانياً: التجويف الصدري (Thoracic Cavity) - بمفهومه الحالي :

في المقابل، يمثل التجويف الصدري بيئة فسيولوجية مزدحمة تفتقر لصفة الخلوص العضوي المستقل؛ إذ تشغل الرئتان (اليمنى واليسرى) المساحة الأكبر منه، وتتوسطهما العضلة النابضة ، ويخترق الجوف المريء والقصبة الهوائية والأوعية الدموية الكبرى. وبما أن العضلة النابضة ليست كتلة واحدة مستخلصة ومستقلة داخل هذا الفراغ بل هي جزء من منظومة حركية وتنافسية مزدحمة، لم تطلق عليها لغة العرب لفظ **"لُب" أو "قَلْب إدراكي"** قط، بل أسمتها **(الْجَنَان)** نظراً لسترها وحجبها وسط تلك الأعضاء، وأسمتها **(التَّامُور)** نسبة لغلافها الحركي الكابس للدم.

وبذلك أطلق العربي كلمة (قلب) على الفص الأمامي للدماغ المتواجد في صدر الرأس (الناصية من الخارج) لأنه :

- **وظيفياً :** هو العضو الذي يقوم بتقليب الأمور والتدبير
- **حسيا:** هو المادة اللينة الخالصة (اللباب) المستقرة في أعلى الجسد تماماً كقلب النخلة في أعلى النخلة
- **ديناميكياً :** هو مركز الخواطر المتقلبة التي لا تركز على حال .

هذا الترابط الاشتقاقي يجعل الفص الأمامي للدماغ هو "القلب القرآنى"

المطلب الثالث : برهان التناظر البنيوي: المخ ولُب الجوزة كرمزية تاريخية للذكاء

في فقه اللغة العربية التراثية النقية، لا تعني كلمة "القلب" بالضرورة العضلة الفسيولوجية الماصة والكابسة للدم؛ بل تُطلق لغوياً على **"لُبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَجَوْهَرِهِ وَخَالِصِهِ"**

وفي أمهات المعاجم اللغوية نجد تحديداً دقيقاً لمفهوم اللُّب على أنه :

★ **اللب** (في المصطلحات) : ما في جوف البذرة ونحوها كلب اللوز. (فقهية)

★ **قَلْبُ الْجَوْزَةِ :** لُبُّهَا

★ **لُبّ الثَّمرة:** الطبقة الوسطى من جدار ثمرة فواكه، الجزء القاسي أو الليفيّ **في قلب ثمرة** يحتوي على البذور ، جمع لُبُوب

★ **دخل في لُبّ الموضوع مباشرة:** دخل في قلبه ووسطه

★ **لُبُّ الأرض:** (البيئة والجيولوجيا) النطاق الصخريّ المحيط بسطح الأرض من داخلها، **قلب الأرض** الكثيف الذي يتكوّن منه أغلب كتلتها

★ **لب - ج، ألباب وألب وألبب**

1- مصدر لبب. 2- من كل شيء : جوهرهد خالصه. 3- عقل. 4- ما صلح من العقل وكان سريع الفطنة. 5- قلب. 6- سم. 7**- من الجوز أو اللوز أو نحوهما : ما في جوفه**.

وعليه، عندما يوصف **"لُب الجوزة"** بأنه **قلبها**، فإن الدلالة التشريحية لا تنصرف قطعاً إلى مضخة عضلية نابضة ، بل تنصرف حصرياً إلى الجزء المركزي المستقر في التجويف الداخلي المغلف بالقشور العظمية الشديدة .

وتأسيساً على هذا التمايز، تنكشف لنا الفلسفة الدلالية لـ **"علم التسمية للأعضاء البشرية"** في لسان العرب الأوائل؛ إذ لم يكن إطلاق المفردات قائماً على مجرد استقرار العضو داخل أي فراغ في الجسد، بل اشترط العرب في لفظ **"اللُّب"** و**"الْقَلْب"** معنى **(الْخُلُوصُ الْجَوْهَرِيُّ وَالسِّيَادَةُ الْفَسْيُولُوجِيَّةُ الْمُسْتَقِلَّةُ داخل التجويف)**.

خاصة عندما نعرف أن العرب عرفوا الجوز من خلال

ونجد أنه ورد في القرآن الكريم (أولى الألباب) بمعنى أصحاب الفهم والعقل

قال الله تعالى :(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (111)) **(سورة يوسف)**

ولكن الشئ الغريب لماذا أصبح اللب في القرآن الكريم هو رمز للفهم الصحيح والصواب ؟
(لب) الأشياء أمام العرب القدماء مثل لب التمر لا فائدة منه وحتى وإن كان له فائدة بشكل ما
ولكن لماذا يربطه القرآن الكريم بالفهم والمعرفة الصحيحة والنجابة والتعقل ؟
وهل اللب مرادف للقلب العضلة التي تضخ الدم في داخل الإنسان ؟

لا يوجد أي رابط يربط مفهوم الذكاء بلب الأشياء (مثل لب التمر أو جمار النخل المستقر في رأسها) إلا بشيء واحد، وهو برهان التناظر البنيوي والبصري؛ مما ينفي فرضية المصادفة في النظم القرآني كلياً.

من المعلوم تشريحياً أن **"لُب الجوزة"** (عين الجمل في بعض البلدان العربية - ويقال عنه قلبها) يحاكي بشكل مذهل هندسة **"المخ البشري"** بتلافيفه، وتعرجاته السطحية، وقشرته المخية الحديثة (Neo-cortex) . وحين نراجع علم التشريح الحديث، نجد أن الجمجمة عبارة عن بنية عظمية متينة تشكل الرأس، وبداخلها يستقر تجويف القحف (Cranial cavity أو intracranial space) . ويشغل هذا التجويف العظمي "الدماغ البشري" المغلف بالأغشية السحائية ومحاطاً بالسائل الدماغي الشوكي، مشكّلاً منظومة حماية طبيعية فائقة الإحكام لعضو الدماغ الذي يمثل المركز الحصري للتفكير والتدبير الفكري في العلم الحديث (Standring, 2020) .
هذا التناظر البنيوي الفائق بين الجمجمة وجوفها الحاضن للدماغ ، وبين ثمرة الجوز وقشرتها الحاضنة للبها ، هو السبب الوجيه والسر اللغوى الذي جعل العرب القدماء يطلقون على أصحاب الفهم السليم كلمة **"اللُّب"** مما يعني أن القدماء كانوا يفهمون أن مركز التفكير هو في الرأس

ولكن هل عرف العرب في الجاهلية (ثمرة الجوز أو عين الجمل) ؟

نعم عرفوها فكانوا يجلبونها في رحلات الشتاء من بلاد الشام وفارس

و لمزيد من إحكام الحجة وتجلية الفارق الدلالي بين **"لُبِّ الشيء"** (القلب الإدراكي) وبين **"العضلة الصامتة"** (القلب الحركي)، نجد شواهد مادية قطعية في تشريح الطبيعة العضوية تدعم هذا التمايز، وهو ما وثقته الدراسات العلمية المعنية بأنثروبولوجيا الغذاء وعلاقتها بالأعضاء البشريّة. حيث تشير الكشوف الطبية المنشورة في الدوريات العالمية المهتمة بخصائص الأطعمة الشبيهة بأعضاء الجسم البشري وفوائدها الحيوية لتلك الأعضاء إلى تمايز وظيفي وبنيوي صارم بين عضوين :

- **أولاً: برهان (الدماغ):**

تُثبت المراجعات الطبية المقارنة أن ثمرة الجوز (Walnut) تحاكي في شكلها الفيزيائي بشكل تطابقي هندسة الدماغ البشري وتلافيف القشرة المخية الجديدة (Neo-cortex) المسؤول الأول عن الوعي الإنساني .

وتضرب هذه المحاكاة بجذورها في تاريخ الطب الفسيولوجي القديم فيما يُعرف بـ **"عقيدة التوقيع أو التشابه الفطري" (Doctrine of Signatures)**؛ وهي نظرية طبية وتراثية عريقة اعتمدها القدماء وأيضا أطباء البشرية عبر العصور، وتنص على أن الخالق سبحانه جعل الأشكال الهندسية لبعض النباتات والثمار دليلاً فيزيائياً مرئياً على العضو البشري الذي تدعمه وتتشابه معه وظيفياً وبنيوياً . وبناءً على هذه العقيدة الطبية، اعْتُبِرَتْ ثمرة الجوز منذ القدم رمزاً فسيولوجياً للذكاء، ومقوياً طبيعياً للذهن البشري بسبب محاكاتها التامة لهندسة المخ داخل الجمجمة.

وتؤكد الأبحاث الطبية التجريبية المعاصرة صحة هذه العقيدة التاريخية؛ إذ أثبتت أن هذه الثمرة غنية بالمركبات الحيوية التي تساهم مباشرة في تطوير أكثر من ثلاثة وثلاثين نوعاً من المرسلات والموصلات العصبية (Neurotransmitters) داخل الخلايا الدماغية، مما يعزز كفاءة الإشارات الكهربائية ويقوي شبكات الروابط العصبية الحاكمة للتعقل والتذكر ومقر الإدراك (Poulose et al., 2014).

ومن هنا يتجلى لنا علمياً وتراثياً لماذا أطلقت لغة العرب الأوائل كلمة اللُّب على الفهم السليم ، وبسبب هذا الشبه أصبح لُب الجوز في فقه اللغة رمزاً فيزيائياً للذكاء؛ حيث ورد في المعاجم التراثية: **"لَبِبَ الْجَوْزُ: أَيْ صَارَ ذَا لُبٍّ"**

ولذلك نقرأ في القرآن الكريم كلمة **(أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)** ، فهي إشارة تشريحية ولسانية بليغة تعيد الوعي إلى اللُّب الإنساني (الدماغ)، الذي اتخذ الجوز رمزاً تاريخياً للذكاء نظراً لشبهه التطابقي به وبقشرته الحامية.









- **ثانياً: برهان العضلة (مضخة الدم) :**

في مقابل التناظر الذهني للجوز مع المخ، تضعنا الطبيعة أمام تناظر عضلي حركي مختلف؛ حيث أن **"ثمرة الطماطم" (Tomato)** تنقسم تشريحياً داخلياً إلى أربع حجرات مستقلة وهي حمراء اللون بشكل يطابق تماماً الهندسة الفسيولوجية لـ (القلب العضلي البشري بحجراته الأربع: الأذينين والبطينين). وتؤكد التقارير الطبية المعتمدة أن الطماطم محملة بتركيزات عالية جداً من مادة **(الليكوبين - Lycopine)** الحيوية، والتي تتوجه فسيولوجياً وعلاجياً لخدمة عضلة القلب وضمان كفاءة تدفق الدم وإمداداته الحركية للجسد (Cheng et al., 2017) .

المطلب الرابع : هل اللب هو القلب

تأسست القناعة العلمية والتراثية التي أوضحتها أعلاه على وجود تشابه فيزيائي وموضعي بين الدماغ البشري وبين اللُّب (كـلب الجوز)، وهو ما جعل القدماء يعتبرون اللُّب رمزاً عريقاً للذكاء والفكر، مدركين أن الدماغ المستقر داخل تجويف الجمجمة هو مقر الحكمة . ولكن في نفس

الوقت نجد في القرآن الكريم يستخدم لفظ قلب سواء للذى لديه فهم سليم أو الذي لا يعقل ، بينما كلمة (ألباب) كانت دائما بمعنى التعقل والفهم ، لذلك من الواضح أن القلب هو كلمة تدل على العضو لمسئول عن التفكير سواء كان سليم أو فاسد بينما اللب هو دلالة على الفهم السليم والتعقل فقط ولذلك فمن كان له فكر سليم (أولى الألباب) لديه أيضا ذكرى في القلب ، فالقلب هو العضو المسئول عن عمليات الفهم و الأخلاق

- **الآية الأولى :** قال الله تعالى :(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ (269)) **(سورة البقرة)**

- **الآية الثانية :** قال الله تعالى : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (18)) **(سورة الزمر)**

- **الآية المقابِلة حِجاجيّاً :** قال الله تعالى :- (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37)) **(سورة ق)**

عند إجراء المقابلة البنيوية التفسيرية بين هذه النصوص، نجد أن الآيتين (269 من البقرة، و18 من الزمر) حصرتا وظيفة **"التَّذَكُّرِ والاهتداء بالحكمة"** في فئة ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (أي أصحاب الفكر السليم والذى استخدم فيها كلمة تم استخدامها على لب الجوزة) . بينما جاءت آية سورة (ق: 37) لتحصر نظيفة التذكر والوعي في عضو ﴿كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ . هذا يعني أن القلب المقصود هنا والمسئول عن التذكر والأخلاق ليس القلب الذي يضخ الدم ولكنه القلب الموجود داخل الرأس ، وهو أيضا ليس الدماغ بل في جزء من الدماغ فهو خلاصة الدماغ لأنه موجود في الصدور ولم يقل الرؤوس لأنه لا يقصد كل الدماغ بل يقصد جزء من الدماغ موجود في صدر الرأس

المطلب الخامس : التكييف الفسيولوجي لأسماء الأعضاء عند العرب

لإقامة الحجة الدامغة التي تثبت أن العرب الأوائل لم يخلطوا بين العقل والمضخة، نجد أن معجم لسان العرب والقاموس المحيط يطلقان اسماً خاصاً ومستقلاً على العضلة التي تضخ الدم في جسم الإنسان، وهو (التَّامُور) أو (الْجَنَان) .

حيث نقرأ في *لسان العرب* لابن منظور قوله : (الجوهري: والتامورة غلاف القلب. ابن سيده: والتامور غلاف القلب، والتامور حبة القلب، **وتامور الرجل قلبه**)

وفي المعجم *الوسيط* يتضح التحديد التشريحي للعضلة العرفية: "**الْجَنَانُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**: جَوْفُهُ، وَالْجَنَانُ: الْقَلْبُ العضلي"

هذا التمايز اللفظي الصارم بين "القلب اللُّبي" وبين "التامور والجنان العضلي" يبرهن بوضوح أن إطلاق كلمة "القلب" في سياق الإدراك والفقه والتدبير الفكري داخل القرآن إنما هو وصف لـ **اللُّب والمخ (The Central Brain)** المستقر في الرأس الحاكم للوعي البشري . في حين أن العضلة الكابسة للدم لها مسمياتها التشريحية المستقلة في ديوان لغة العرب، والتي تطورت في عالم الطب الحديث لغوياً ليصبح "التامور" (Pericardium) هو المصطلح العلمي الدقيق للغشاء الليفي المحيط بالقلب العضلي .

يوجد عند العرب الأوائل "قانون التمايز الوظيفي للبنى اللفظية" ؛ فالتعدد اللفظي في لسان العرب ليس ترادفاً عبثياً متطابقاً، بل هو تعدد قائم على **تنوع الصفة، والوظيفة، والهندسة الفيزيائية للعضو** . وحين نُفكك هذه المفردات تشريحياً ومعجمياً، **يتجلى لنا التباين الصارم كالتالي:**

1- "التَّامُور" (العضو الحركي والمحيط الفسيولوجي):

في جوهر اللسان، يُطلق "التامور" على غلاف العضلة النَّابضة وحجرتها. يقول ابن منظور في لسان العرب: "التَّامُورُ: غِلَافُ الْقَلْبِ". وبما أن غلاف العضلة متصل فسيولوجياً بوظيفة انقباض وانبساط المضخة وضخ الدم، فإن العرب خصوا هذا الكيان المادي الحركي باسم مستقل يعبر عن كينونته الفسيولوجية كـ "وعاء ومضخة للدم الدفاق".

2- "الْجَنَان" (العضو المكتوم والمستور داخل الصدر):

اشتُق لفظ "الجنان" من مادة (جَ نَّ) والتي تفيد الستر والخفاء (كالجنين في البطن، والجنة المستورة بالأشجار). وسُميت المضخة العضلية في الصدر **جَناناً** لأنها مستورة ومحجوبة بالكامل داخل القفص الصدري بين الرئتين. فالاسم هنا يصف "الخارطة المكانية الاستاتيكية" للعضو العضلي المستتر في الجسد البشري.

3- "الْقَلْب" (اللُّب والمركز الإدراكي والتدبيري):

في المقابل، لم يُشتق لفظ **"القلب"** من الستر (كالجنان) ولا من الغلاف الحركي (كالتامور)، بل اشتُق حصرياً وبموجب التكييف الفسيولوجي من: **(اللُّب، والخالص، والتحول، وميكانيكية التقليب الفكري للأمور)** . فمادة (قَلَبَ) في أصل لسان العرب البكر تعني حركياً وفيزياءً: **(تحويل الشيء عن وجهه، وتدويره ظهراً لبطن لمعاينته من كل الجهات وتصريفه)**، ومنه المأثور اللساني الحاكم: (قَلَّبَ الأَمْرَ) أَيْ تدبّره ونظر في وجوهه وعواقبه ليصرف فيه قراراً.

وتثبت حقائق الفسيولوجيا وعلم الأعصاب المعاصر أن العضو البشري المادي الوحيد القادر وظيفياً وعصبياً على ممارسة ميكانيكية (تقليب الأمور، وتصريف البيانات، والموازنة بين الخيارات العقائدية والقرارات المصيرية) هو الدماغ والمخ في الرأس؛ وتحديداً قشرة الصدارة العلوية (الفص الجبهي والناصية) . فلهذه الوظيفة الحركية التدويرية للبيانات والأفكار، أسقط التنزيل الإلهي عليها اسم **"الْقَلْب"** الإدراكي؛ فالقلب في فقه اللغة هو **"قلب**

الشيء: لُبُّهُ وَجَوْهَرَهُ"، والدماغ هو قلب الرأس ولُب الإنسان الحاكم لعمليات الفكر والوعي والتدبير العصباني.

بناءً على هذا التفكيك اللساني والفسيولوجي، يتبين أن العرب حين أرادوا وصف العضلة المادية المستترة الكابسة للدم استخدموا (الجنان والتامور) ، بينما تسقط عن هذه المضخة العضلية بالأسفل وظيفة التقليب المعرفي لأن حركتها رتيبة وآلية خِلقة (انقباض وانبساط مأمور) ؛ وحين أراد القرآن وصف "مركز التدبير العاقل والمفكر والواعي" استخدم لفظ (القلب) مرادفاً للُّب والمخ البشري المستقر في الرأس . هذا التمايز التشريحي والوظيفي في دلالات الألفاظ يقطع الطريق تماماً على فرضية الترادف السطحي، ويؤكد الحصانة العلمية المستقلة للفظ القرآني .

المطلب السادس : قيد الاحتراز البنائي وحقيقة "القلب" في الصدور

ينشأ في ذهن الباحث المستقل تساؤل مركزي يفرض نفسه عند تدبر البيان الإلهي في سورة الحج:

قال الله تعالى :- (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)) (سورة الحج)

لماذا حدد القرآن الكريم الموقع الجغرافي للقلوب وقيدها بقوله ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، إن كان الإنسان لا يملك في بَدَنه وعُرفه سوى عضو واحد معروف يُسمى قلباً وهو مضخة الدم؟

إن لغة العرب والنظم القرآني مُنزَّهان عن الحشو والفضول اللغوي (وهو ذكر وصف مكان معلوم بالبداهة لا ميزة فيه ولا احتراز)؛ فلا نجد في التنزيل عبارة "الألسنة التي في الأفواه" لأن الفم لا يشاركه عضو آخر في اسم اللسان. فلماذا اشترط القرآن هذا التحديد المكاني للقلب؟

الحقيقة اللسانية والتاريخية تبرهن أن كلمة "القلب" في اللسان العربي البِكر لم تكن اسماً علماً محصوراً في العضلة اللحمية السفلية، بل كانت **وصفاً وبناءً حركياً عاماً يُطلق على شتى المواضع والعِلل**؛ مما أحدث اشتراكاً لفظياً استوجب وضع هذا القيد الجغرافي الفاصل لرفع اللبس وتوجيه وعاء الفكر. ويتضح ذلك جلياً من واقع شواهد ونصوص معجم (لسان العرب) لابن منظور:

1- البراهين اللغوية من نص معجم "لسان العرب"

عند فتح المعجم وتفكيك مادة (قَلَبَ)، نجد النصوص الحرفية التالية التي تثبت أن الكلمة كانت تطلق وظيفياً وحركياً على علل تشريحية في الرأس لا علاقة لها بمضخة الدم:

- **نص انقلاب الشفاه في الرأس:** ينص معجم لسان العرب حرفياً: **"والقَلَبُ بالتحريك: انقلاب في الشفة العليا واسترخاء... وشفة قلباء: بينة القَلَب"**.

- **نص داء القُلاب العصبي في الدماغ:** ينقل ابن منظور عن الإمام الفراء قوله: **"هو مأخوذ من القُلَاب: داءٌ يأخذ الإبل في رُؤوسها فيقلبها إلى فوق، قال النمر: وقد برئت فما بالقلب من قلبه؛ أي برئت من داء الحب"**.

يثبت هذا أن أصل اشتقاق علة (القُلبة والقُلاب) يدور كلياً في فلك **عِلل الرأس والوجه والدماغ**؛ فداء القلاب (المعروف بيطرياً بداء الطير) هو مرض عصبي حاد يدمر الخلايا الدماغية للإبل، فيتسبب في تشنج عنق البعير والتواء رقبته وارتدادها للخلف قسرياً نحو السماء صعوداً. كما نقل ابن الأعرابي في ذات الباب أن القُلبة تُطلق على "قلب وفحص حوافر

الخيل وقوائم الدواب" للتأكد من سلامتها؛ وتنص المعاجم أيضاً أن: **"قَلْبُ كُلِّ شَيْءٍ: لُبُّهُ وَخَالِصُهُ، وَمِنْهُ قَلْبُ النَّخْلَةِ (الجُمَّار) وَهُوَ مَادَّتُهَا الشَّحْمِيَّةُ الْبَيْضَاءُ اللَّيِّنَةُ الَّتِي فِي رَأْسِهَ"**.

إذن، يثبت المعجم أن كلمة "القلب" كانت مشاعة ومطلقة وتُطلق حركياً على أشياء كثيرة (انقلاب شفة الرأس، وداء الدماغ للإبل، وقلب الحوافر، ولباب النخل الأبيض). ومن هنا برزت الحاجة البيانية لـوضع قيد الاحتراز الجغرافي في القرآن الكريم لعزل القلب الإدراكي المفكر وتحديد وعائه.

2- برهان آية الطيور وقاعدة رفع اللبس

تظهر عبقرية هذا القانون البلاغي (قيد الاحتراز لرفع اللبس نتيجة وجود أنواع مختلفة) بوضوحٍ تام عند مطابقته مع قوله تعالى: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ (38)) **(سورة الأنعام)**

لو ورد في القرآن: "ولا طائر" وصمت؛ لتبادر إلى ذهن السامع العربي بحكم واقعه الحسي أن الخطاب ينحصر فقط في الطيور الداجنة اللصيقة بالأرض والتي تعيش معه في نفس المساحة الجغرافية وتدب دبيب الدواب كـ (الدجاج، والبط، والإوز، والنعام) . ولكن عندما أضاف القيد الحركي الصارم: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾، رفع اللبس تماماً وأدخل في حكم الآية **كل أنواع الطيور الأخرى المختلفة التي تمخر فضاء السماء العلوية وتحلق في الهواء** (كالجوارح والنسور)، ليؤكد الشمول الربوبي لكل ما يطير في الفضاء؛ فالقيد جاء لوجود أنواع مختلفة من الطيور، وهو يتحدث هنا عن التي تطير فعلياً دون الدابة.

3 - المقابلة المنطقية مع آية ﴿الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

بالمطابقة المنطقية والبيانية الصارمة مع قاعدة الطيور؛ وبما أن كلمة "القلب" في لغة العرب كانت مشاعة وتُطلق على أشياء شتى (كانقلاب الشفاه، وعلة الدماغ، ومضخة الدم السفلية

لاضطراب نبضها)؛ فإن النظم القرآني في سورة الحج عندما أراد الحديث عن العقل والفكر، لم يقل "تعمى القلوب" بشكل مطلق ، بل قيدها جغرافياً بوصف مكاني حاسم: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.فالقرآن وضع قيد ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ليحترز ويحدد العضو الفسيولوجي المسؤول حصرياً عن الفقه والعقل والتدبر من بين بقية الإطلاقات الحركية والعضلية الأخرى . وبما أنه تم البرهان بالدليل القاطع في المباحث السابقة أن "الصدر" في لسان التنزيل هو وعاء صدارة البدن وأعلاه البارز وهو (الرأس وجوف الجمجمة وعنقه الشامخ)" وأن مركز التفكير في الإنسان هو مقدمة رأسه (الناصية) ؛ فإن الآية تعلن ببساطة: أن العمى الحقيقي ليس عمى العين الباصرة في الوجه، بل هو عمى العقول والألباب (المخ والدماغ) المستقرة داخل وعاء الجمجمة في صدارة الإنسان (الرأس)

تفكيك ومحاكمة الاعتراض التقليدي حول بلاغة الآية:

قد يزعم معترض أن قيد ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ لم يأتِ لتحديد موقع فسيولوجي مقصود، بل جاء لأغراض بلاغية مثل: (التوكيد والتحقيق لنفي المجاز كقولنا "رأيته بعيني")، أو لـ(المقابلة البيانية). ولكن هذا الاعتراض يتهاوى ويسقط تماماً أمام المحاكمة المنطقية والتشريحية من ثلاثة أوجه:

- **إبطال القياس على (رأيته بعيني):** إن تعبير العربي (رأيته بعيني) يُذكر لأن "الفعل" نفسه (الرؤية) يحتمل المجاز المعنوي بكثرة؛ فنحن نقول: "رأيتُ رأيك صواباً" (رؤية فكرية مجازية). فلما كان الفعل يحتمل المجاز، اضطر اللسان لوضع القيد لنفي المجاز المعنوي وتأكيد الحاسة البدنية. أما آية سورة الحج، فلا تتحدث عن "فعل" محتمل للمجاز، بل تتكلم عن "عضو وجغرافيا سكونية" (الأبصار والقلوب)، وتحديد موقع العضو الواحد خلقةً في البدن لا وظيفة بلاغية له؛ فالإنسان لا يملك قلباً في قدمه ليحترز منه، فبقي ذكر الصدور قيداً جغرافياً حتمياً ليفصل في موقع وعاء العقل من البدن وليس لمجرد التزيين اللفظي.

- **إبطال دعوى التوازن الهندسي:** لو كانت جملة ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ قد جيء بها لمجرد التوازن الهندسي والمقابلة الجغرافية مع أبصار الرأس؛ لكان النظم البلاغي الأتم للآية أن يقول: (لا تعمى الأبصار التي في الرؤوس ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) ليتوازن طرفا المعادلة. فلما أطلق الأبصار دون تحديد موقعها (لأنه لا يوجد بصر في الجذع)، وقيد القلوب بموقعها الصارم؛ دلّ هذا قطعاً على أن القلوب تحتاج إلى تحديد موقع جرافي احترازي يفصل وعاءها الإدراكي المفكر عن بقية الاستعمالات الحركية والعضلية المشاعة للفظ.
- **إبطال ربط التدبر بـ "عضو ميكانيكي آلي":** من الناحية الطبية والواقعية؛ يستحيل أن يربط التنزيل الإلهي المعجز وظائف معقدة للغاية مثل (الفقه، والعقل، وصناعة النوايا والمؤامرات) بعضو آلي وميكانيكي أعمى فسيولوجياً كمضخة الدم السفلية. فالواقع الطبي يثبت أن الشخص الذي تُستأصل مضخة دمه اللحمية ويُركب له (قلب صناعي ميكانيكي من البلاستيك والمعدن) يظل عاقلاً، فاهماً، شاعراً، ويتخذ قراراته الاعتقادية والأخلاقية بكفاءة تامة تدار كلياً من مخه ورأسه؛ مما يبرهن على أن "مركز الحيوية والضخ" ليس هو وعاء العقل والفقه القرآني الحاكم للبدن.

4- النتيجة الكلية والربط مع آية سورة الأحزاب

ويستقيم هذا التوجيه المكانى تماماً مع قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾؛ فالآية نزلت رداً على المشركين الذين زعموا أن لرجل من قريش عقلين وقدرتين مستقلتين على الحفظ وتدبير الآراء وتغيير المواقف الفكرية المتنوعة، فجاء النفي الإلهي قاطعاً لا لنفي التسميات اللغوية العامة والأعضاء المشاعة المشتقة من مادة الانقلاب، بل لـ**"نفي تعدد العضو الإدراكي المفكر الحاكم وصانع القرار في باطن البدن"**؛ فالله عز وجل يؤكد لهم أن الإنسان لا يملك إلا مركز قيادة فكري واحد وعقل ومخ واحد مستقر في وعاء باطنه الحاكم وهو الرأس (القلب الإدراكي الأوحد) .

وتتطابق هذه الحقيقة القرآنية مع كشوف طب التشريح العصبي المعاصر، والذي يؤكد باليقين التجريبي البصري أن العضو الأوحد واللُّب الخالص القادر فسيولوجياً وعصبيّاً على معالجة الأفكار، والفقه، والتدبر، واتخاذ خيارات الصدق والكذب، هو "المخ والدماغ البشري، وتحديداً القشرة الجبهية الأمامية" (Prefrontal Cortex) الكامنة وراء عظم الجبهة والناصية (Standring, 2020)؛ والتي أسند إليها القرآن وظيفة القرار والمسؤولية الإدراكية صراحة في قوله: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ . في حين تخرج مضخة الدم السفلية من دائرة التعقل، ويبقى خفقانها مجرد تابع مأمور لإشارات الرأس العصبيّة

المطلب السابع : البرهان التطبيقي من الأثر والسلوك النبوي المادي للأعضاء

إبطالاً لكل التأويلات والمجازات البلاغية المتأخرة التي حاولت عزل وعاء الرأس عن وظائف القيادة والفكر؛ يضعنا الأثر السلوكي والمادي الحسي للرسول عليه الصلاة والسلام أمام حقيقة عملية فاصلة تفك النزاع تماماً، وتثبت بالدليل الملموس الممسوح بـاليد الشريفة أن الرأس ومخه هو وعاء الفهم والعقل؛ إذ يزخر (مسند الإمام أحمد بن حنبل) وأمات السنن بالأحاديث الصحيحة والحَسَنة التي توثق هذا التلازم الفيزيائي بين حركة اليد النبوية ووظائف الجسد الإدراكية والحيوية، ومنها ثلاثة شواهد قاطعة:

1- شاهد عبد الله بن مسعود (التلازم الحركي بين الرأس والضرع):

يرد عن ابن مسعود رضي الله عنه ، بإسناد حَسَن صححه المحققين كالإمام شعيب الأرنؤوط كما ورد في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان والمعجم الكبير للطبراني ، تلازم حركي وعضوي معجز؛ إذ ينقل ابن مسعود :

"كنتُ أَرْعى غَنَمًا لِعُقبةَ بنِ أبي مُعَيطٍ، فمَرَّ بي رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال لي: يا غُلامُ، هل مِن لَبَنٍ؟ قُلتُ: نَعَمْ، ولكنِّي مُؤتَمَنٌ. فقال: هل مِن شاةٍ لم يَنزُ عليها الفَحلُ؟ **فأتَيتُهُ بشاةٍ، فمسَحَ ضَرْعَها، فنزَلَ لَبَنٌ، فحلَبتُهُ في إناءٍ، فشرِبَ، وسَقى أبا بَكرٍ، ثم قال للضَّرْعِ:**

اقلِصْ. فقلَصَ، ثم أتَيتُهُ بَعدَ هذا، فقُلتُ: يا رسولَ اللهِ، علِّمْني مِن هذا القَولِ، فمسَحَ رَأسي، ثم قال: يَرحَمُكَ اللهُ، إنَّك غُلامٌ مُعلَّمٌ. قال: فأخَذتُ منه سَبعينَ سورةً، ما نازَعَنيها بَشَرٌ»

وعند فحص هذا التمايز السلوكي لـ **"المسح النبوي للأعضاء"** بالمنطق والتشريح والحياد؛ نجد أن حركة اليد الشريفة تختلف دلالتها باختلاف العضو المستهدف باللمس ماديّاً وبصريّاً؛ فحين استهدفت المعجزة إدرار الغذاء واللبن توجهت اليد لمسح (الضَّرْع) بوصفه الغدة والوعاء المسؤول حيوياً وفيزيائياً عن تخزين وإفراز اللبن .

وبالمطابقة والتقابل التام؛ عندما عاد إليه ابن مسعود طالباً أسمى العمليات المعرفية والإدراكية وهي (تعلّم القول وحفظ القرآن)، لم يمسح النبي عليه الصلاة والسلام على أطرافه ولا على منخفض بدنه، بل وضع يده الشريفة مباشرة على **"الرَّأْس"**؛ ليفيض بالبركة على وعاء هذا الحفظ ومطبخ الأفكار والقرارات العصبيّة.

2- شاهد عبد الله بن عباس (ربط الرأس بالحكمة والوعي):

يروي الإمام أحمد في مسنده عن حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: **«مَسَحَ النَّبِيُّ عليه الصلاة والسلام رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْحِكْمَةِ»**. والحكمة لغوياً وعقلياً هي قمة الذكاء، ورجاحة الوعي، وفصل التدبير وصنع القرارات؛ وجاء مسح الرأس لأجلها ليقطع بأن وعاء هذه الحكمة والتعقل هو الدماغ والمخ علواً، وليس أي منطقة أخرى بالبدن .

3- شاهد أبي عطية البكري (السيادة الفسيولوجية والحيوية للرأس):

ورد في المعجم الأوسط للطبرانى عن أبي عطية البكري رضي الله عنه قوله: « انطلقَ بي أهلي إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ **وأنا غلامٌ شابٌّ فمسحَ على رأسي** قالَ الرَّاوي عنه فرأيتُ **أبا عطيَّةَ أسودَ الرَّأسِ واللِّحيةِ وكانَت قد أتت عليهِ مِائةُ سَنةٍ**»

قد يزعم معترض أن فعل المسح النبوي في هذه الأحاديث كان مجرد حركة عفوية للتحنن العاطفي العام ولا دلالة تشريحية فيها. ولكن هذا الاعتراض يتهاوى ويبرز قُصوره بالنظر في السلوك الحركي المقارن للأعضاء؛ فنحن نعلم أن أفعال المسح النبوي تختلف مقاصدها باختلاف العضو المستهدف باللمس؛ فالمسح على (وجوه) الأصحاب كان لإذهاب النعاس وطرد الحزن، ؛ وعندما كان يمسح على (رأس اليتيم) كان لإشعاره بالتحنن والحب، ومسحه على (رؤوس الصغار) كان لبركة النسل والعمر والرزق ، و عندما كان يمسح على (المناكب) لتسوية حركة الصفوف في الصلاة .

وهذا التحديد التشريحي يحمل عمقاً فسيولوجياً وعصبيّاً حتمياً؛ فالرأس والجمجمة الحاضنة لعضو (الدماغ والمخ) هي في واقع الطب المعاصر **"المركز السيادي الأعلى والمسؤول المطلق عن إدارة وإصدار كافّة القرارات العاطفية كالحب والحنان، وأوامر غدد هرمونات النمو والنسل وعدم شيب الشعر ، وتوجيه شبكات الأعصاب لحفظ الكلام وتلقي العلوم والتعلم ، وتوجيه حركة البدن لكسب الرزق والعيش"** .

وانطلاقاً من هذا الناموس الحركي والفسيولوجي الصارم للأفعال النبوية؛ نضع التفسير الموروث أمام سؤال بسيط جداً ومنطقي، لا يستطيع أي إنسان يملك عقلاً أن يهرب منه؛ وهو: **"إذا كان "الصدر" بمعناه العُرفي المتأخر أسفل العنق ومضخته العضلية هو الموطن الفعلي لـ (القلب الإدراكي) ومستقر الفهم والعقل والتدبر في لسان النبوة، فلماذا تخلت يد النبي صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ تماماً عن المسح على هذا الموضع "المفكر بزعمهم" عند أهم ثلاثة شواهد في تاريخ الأمة (ابن عباس، ابن مسعود، وأبي عطية) وتثبتت اليد الشريفة حصراً على "الرأس والجمجمة العلوية الشامخة" لتفعيل الحكمة والتعلم والسيادة الحيوية؟!»**

إن تخطي النبوة عملياً وحركياً لمنطقة أسفل العنق ضع يده الشريفة مباشرة على **"الرَّأْس والْجُمْجُمَة العلوية الشامخة"** طالبا لأجل أصحابه تلك الوظائف (الحكمة، العلم، الحنان، البركة الحيوية) هو اعتراف وإقرار مادي حاسم بأن الرأس ومخه هو المحرك الإداري والعصبي الأوحد

للوعي والتعقل (القلب الإدراكي) . مما يقطع يقيناً في ثقافة جيل الأوائل بأن الرأس ومخه هو الوعاء الفعلي الحاضن لـ (القلب الإدراكي) ومطبخ الأفكار والقرارات.

4 - المحاكمة الحديثية لاضطراب لفظ "الصدور" في متون تسوية الصفوف :

ورد هذا الحديث بأكثر من رواية في دواوين السنة المشهورة؛ فنجده قد جاء في سنن أبي داود (واللفظ له)، وسنن النسائي، نقلاً عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : **"كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يتخلَّلُ الصَّفَّ من ناحيةٍ إلى ناحيةٍ يمسحُ صدورَنا ومَناكبَنا ويقولُ : لا تختلفوا فتختلفَ قلوبُكُم وَكانَ يقولُ : إنَّ اللَّهَ وملائِكَتَهُ يصلُّونَ على الصُّفوفِ الأُوَلِ"**

إلا أن التحقيق التدويني المقارن للمتون يكشف بوضوح عن وقوع "الاضطراب والزيادة اللفظية الطارئة" من بعض الرواة المتأخرين؛ ويتضح ذلك يقيناً من واقع المقارنة الحديثية الصارمة التالية:

- **العامل المشترك الثابت (رواية صحيح مسلم):** عندما نرجع لأصح الدواوين الحديثية تدويناً وقبولاً؛ نجد أن الإمام مسلم قد أخرج في **(صحيحه)** ذات الحديث وذات الواقعة باللفظ المصفى والمجرد من زيادة ذكر الصدور، قائلًا عن ابن مسعود رضي الله عنه: **"كانَ رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَمسَحُ مَناكِبَنا في الصَّلاةِ، ويقولُ: استَووا، ولا تَختَلِفوا فتَختَلِفَ قُلوبُكم، لِيَلِني مِنكُم أولو الأحلامِ والنُّهى، ثُمَّ الذينَ يَلونَهم، ثُمَّ الذينَ يَلونَهم، قال أبو مَسعودٍ: فأنتُمُ اليومَ أشَدُّ اختِلافًا".**

- **رواية سنن ابن ماجه:** وجاء الحديث أيضاً في سنن ابن ماجه (حديث رقم 976) منزهاً ومطهراً من كلمة "صدورنا"؛ وذلك نقلاً عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : **" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ «لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِيَنِّي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ "**

- **روايات مسند الإمام أحمد**: وتتجلى علة الاضطراب بوضوح في روايات المسند؛ فبينما جاء في الرواية رقم (17102) نقلاً عن أبي مسعود الأنصاري مجرداً من كلمة "صدورنا" ومقتصراً فقط على لفظ: **"يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا"**، نجد ذات الحديث في الرواية رقم (18621) نقلاً عن البراء بن عازب قد جاء بجملة: **"فَيَمْسَحُ عَوَاتِقَنَا وَصُدُورَنَا"**

إن هذه الواقعة الحركية والتعليمية في المسجد هي واقعة واحدة لحديث واحد؛ ولكن الرواة في عصر التدوين المتأخر (القرن الثالث الهجري وما بعده) نقلوها بـألفاظ مضطربة ومتغيرة للأعضاء نتيجة الرواية بالمعنى؛ فتارة يرويها النسائي بذكر (الصدور والمناكب)، وتارة يرويها أحمد في موضع بذكر (العواتق والصدور)، وثبتت في أرفع المتون كصحيح مسلم ومواضع بمسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه ، بذكر (المَنَاكِب) فقط كعامل مشترك وحيد لا نزاع فيه لتسوية محاذاة الأكتاف.

إن خلو الرواية الأصح في (صحيح مسلم) من لفظة "الصدور" يبرهن علمياً أن إقحام الكلمة في بعض الألسنة المتأخرة كان زيادة تدوينية طارئة لتناسب خيال الشراح الحسي في ضبط الجذع السفلي، متأثرين بـالترجمات والفرضية الأرسطية القديمة التي حصرت الوعي في مضخة الدم .

وفي المقابل الفاصل، نجد أن الفعل النبوي الحسي الأوحد، والمنضبط تماماً في أسانيده ومتونه لتفعيل الإدراك والوعي، ظل ثابتاً ومسنداً بـاليد الشريفة على **"الرأس وجوف الجمجمة العلوية"** (كما في أحاديث مسح الرأس للحكمة والعلم لابن عباس وابن مسعود)؛ لِيتطابق فعل النبوة المصفى مع قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ .

ويلتقي هذا التلازم مع أحدث كشوف طب التشريح العصبي المعاصر، ليعلنا صراحة: أن العقل، والوعي، والذكاء البشري المفكر مستقره وعضوُه هو **المخ في وعاء الرأس وصدارته الشامخة**، وتتهاوى تماماً دعاوى حصر الفكر في مضخة الدم الميكانيكية السفلية الصامتة .

وبما أن النظم القرآني المحكم يقيد هذه القلوب والعقول المفكرة جغرافياً بأنها ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، وبما أن الفعل النبوي حدد باليد الشريفة أن الرأس ومخه هو وعاء هذا الفقه؛ فإن خطوط اللغة، والبيان، والتشريح تلتحم لتعلن أن "الصدور" في وعي التنزيل واللسان البِكر هي **الرؤوس وجوف الجمجمة العلوية الشامخة خلقةً ولساناً**، وأن "الْقَلْبَ القرآني" المعني بالتعقل

هو **الفص الأمامي من الدماغ (المخ)**، وتتهاوى تماماً دعاوى حصر الفكر الإنساني في مضخة الدم الميكانيكية السفلية الصامتة المشتركة مع الأنعام .

• المبحث الرابع: الفلسفة الوافدة والجذر التاريخي للانحراف المعجمي لمعاني "القلب"

المطلب الأول: الامتزاج المعرفي بين الفلسفة الأرسطية والفكر اليهودي القديم

شهدت الفترة الهلينستية (وهي الحقبة التاريخية التي بدأ فيها اليونانيون الخروج للعالم ونشر أفكارهم، ممتدة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثاني الميلادي) تأثراً عارماً لبني إسرائيل بالأفكار والفلسفات الوافدة . وأدى هذا التأثر إلى انقسامهم طوائف بدأت تصيغ المخطوطات والأسفار، وتعرضها على الناس ككلام مقدس موروث عن الأنبياء السابقين، خلطوا فيها بوعي أو دون وعي بين الحق الذي ورثوه عن أجدادهم وبين الفلسفات اليونانية المستحدثة، وهو ما يُعرف في المفهوم القرآني بـ (التحريف وتزييف الكلم عن مواضعه) **وكان من ضمن أسلوبهم المنهجي في تلك الحقبة، تزييف دلالة المفردات التراثية لتتوافق مع الرؤى الفلسفية اليونانية الشائعة؛ ويتضح هذا المسار من خلال شواهد مركزية:**

★ **أولاً: تزييف دلالة (جهنم):** كانت الكلمة معروفة لديهم تاريخياً عن أجدادهم والأنبياء كدلالة على نار الآخرة والعقاب الإلهي . فعمد الصدوقيون والمتأخرون إلى إنكار القيامة والحساب الأخروي، وحرّفوا دلالتها بجعلها اسماً مادياً لوادٍ على الأرض (وادي بني هنوم أو وادي جهنوم في جنوب غرب أورشيلم)، وزعموا أنها نار دنيوية مستمرة لا تنطفئ قام الوثنيين بالقاء أبنائهم بها **(ملوك الثاني 23: 10)** ، **(أخبار الأيام الثاني 28: 3 ،**

33: 6) وذلك لتفريغ اللفظ من بعده الغيبي؛ بينما جاء القرآن الكريم ليعيد للكلمة جلالها فلا يطلق (جهنم) إلا على نار الآخرة حصراً .

★ **ثانياً: إلغاء جنة الآخرة:** قصرت المخطوطات الهلينستية مفهوم الجنة على الأرض فقط، فجعلوها موضعاً جغرافياً مادياً محدداً على الأرض (جنة عدن بسفر التكوين)، **(تكوين 2: 8)** ملغين تماماً وجود جنة في السماء؛ بينما حافظ النظم القرآني على التمايز الدقيق بين جنة الآخرة الغيبية وبين الجنات والحدائق المادية على الأرض .

★ **ثالثاً: تحريف مفهوم (الملاك):** سعى منكرو الكائنات الروحانية (كالصدوقيين) لإلغاء الطبيعة الغيبية للملائكة **(أعمال الرسل 23: 8)**، فحرّفوا دلالة كلمة **"ملاك"** وجعلوها مجرد كلمة عامة بمعنى (رسول) تُطلق على البشر الفانين من الأنبياء والكهنة ورسل الملوك **(تثنية 2: 26)** ، **(إشعياء 42: 19)** ، **(أخبار الأيام الثاني 36: 15 ، 36: 16)** ، **(ملاخى 2: 7)**؛ ليوهموا العوام بنفي وجود أي مخلوقات روحانية عاقلة مستقلة عن المادة . ويظهر هذا التلاعب بوضوح في الترجمات والمخطوطات مثل **(تكوين 18: 2 ،، 18: 16 ،، 18: 22)** ؛ حيث وصفوا مساعدي الرب الاله بـ "الرجال" الذين يأكلون الطعام، واستخدموا الكلمة العبرية **(إِناش - אֱנוֹשׁ)** بتوافق لغوي رقم 582 والتي تطلق حصرًا على الإنسان الفاني . في حين تميز البيان القرآني بحسم دلالي مطلق؛ فحجز مصطلح (ملاك) حصرًا للكائنات الروحانية النورانية، وميّز بينها وبين الرسل من جنس البشر

★ **رابعاً: الانحراف المعجمي لكلمة (القلب):**

ضمن هذا النسق التزييفي الممنهج، جرى العبث بمدلول كلمة (القلب) والوعاء الحاضن له عبر خلطها بكلمة (اللب) . ففي لسان العرب البكر، يُشترط في "اللُّب" أن يكون خالص كل شيء وجوهره النقي الصافي، ولذلك حجز النظم القرآني مصطلح ﴿أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ حصرًا لوصف

أصحاب التفكير السليم، والذكاء الراجح، والنجابة المعرفية الهادية؛ فالكافر يملك وعياً وتفكيراً مادية، ولكنه يُحرم لسانياً ونظْمياً من صفة "اللباب الصافي" لفساد معالجته الفكرية .

ولكن خلال الفترة الهلينستية، تغلغلت أفكار الفيلسوف اليوناني أرسطو الذي كان يظن واهماً أن تلك العضلة اللحمية التي تضخ الدم (القلب العضلي) هي المركز الحصري للتفكير، والشعور، واتخاذ القرار في الجسد البشري . وزيف كُتّاب المخطوطات والأسفار دلالة اللفظ؛ فبمنأى عن تخصيص المادة اللغوية القديمة المشتركة التي تعيد العقل والذكاء السليم إلى لُب الرأس وصدارته، جرى دمج فكرة أرسطو فسيولوجياً داخل النصوص لتعطي دلالة خاطئة تجعل (القلب المادي) مرادفاً لـ (اللب) . فزعموا أن مركز التفكير والذكاء السليم مستقر داخل العضلة التي تضخ الدم في القفص السفلي، بدلاً من كونه الوظيفة المستخلصة الحاكمة في الرأس

ونقرأ في الموسوعة اليهودية العالمية الشهيرة **(Jewish Encyclopedia)** في مقالة بعنوان: *(ARISTOTLE IN JEWISH LEGEND)* توثيقاً تاريخياً قاطعاً لهذا الامتزاج؛ حيث جاء فيها:

> As the Greek who most impressed his influence upon the development of the Jewish mind, Aristotle is one of the few Gentiles with whom Jewish legend concerns itself. Some 200 years B.C., the Jewish philosopher Aristobulus, made the positive assertion that Jewish revelation and Aristotelian philosophy were identical. Hardly had 200 years elapsed before this opinion was modified to such an extent that it was claimed that Aristotle derived his doctrine directly from Judaism

الترجمة :

بصفته اليوناني الذي كان نفوذه الأكثر تأثيراً على تطور العقل اليهودي، فإن أرسطو واحد من الأممين القلائل الذين تهتم الأسطورة اليهودية بهم. ففي حوالي عام 200 قبل الميلاد، قدم الفيلسوف اليهودي أريستوبولوس (Aristobulus) تأكيداً إيجابياً على أن الوحي اليهودي والفلسفة الأرسطية متطابقتان. ولم تلبث مئتا عام حتى عُدِّل هذا الرأي لدرجة الادعاء بأن أرسطو اشتق مذهبه مباشرة من اليهودية

إن هذا الاعتراف الوثائقي يقطع بأن كُتّاب المخطوطات اليهودية المتأخرة، هم من لووا أعناق الكلمات التراثية الموروثة وحرّفوها لتتطابق قسراً مع نظرية أرسطو الطبية المتوهمة . وهذا التزييف الدلالي الممنهج فتح الباب لدخول الوهم الأرسطي مكانياً وتجويفياً إلى متون بعض الأسفار المتأخرة، وهو ما نتج عنه انحراف معجمي وتوجيه تشريحي خاطئ لكلمة القلب، وهو ما سوف أفككه بالتفصيل في المطلب الثالث

ولا شك أنه بمرور الزمان، ودخول أفراد من حضارات وثقافات وأديان مختلفة إلى الإسلام حاملين معهم رواسب أفهامهم السابقة، بدأت تتسرب هذه المفاهيم المكانية المحرفة إلى العقل الجمعي للمتأخرين؛ فصاروا يفهمون مكان التفكير في جسم الإنسان بالمعنى المحرف المستورد لديهم . وتعاظم هذا التسلل المعرفي عبر لجوء بعض المفسرين لمحاولة فهم وتفصيل بعض الآيات والقصص القرآنية من خلال الاستعانة بـ (الإسرائيليات وكتب بني إسرائيل المقارنة) بالمخالفة الصريحة لقطعية النص القرآني البكر ولسان العرب الأصيل

وتزامن هذا النقل التراثي الطارئ مع حركة الترجمة الضخمة في العصر العباسي لكتب الفلسفة والطب اليوناني (كأرسطو وجالين) الشائعة آنذاك ، والتي صبغت الأذهان بوهم مركزية مضخة الدم للوعي، فظن المتأخرون واهمين أن هذا التوافق الحادث بين الإسرائيليات والفلسفة المترجمة هو الحقيقة البيولوجية لـ (القلب) . وغاب عنهم التدبر في صفاء اللسان القرآني

التنزيري البكر، الذي تحصن تماماً عن هذا الانحراف، وحجز التعقل والسيادة الحيوية حصرًا لـ (لُب الرأس وصدارة الوجه) منذ لحظة نزول الوحي

المطلب الثاني: شواهد التداخل اليوناني الطبي والاجتماعي في صياغة الأسفار

مما يثبت أن أسفار العهد القديم (التناخ) قد عُجنت وصِيغت داخل **"الوعاء الثقافي والفكري الهلينستي"** وهو الوعي الوافد الذي مرر وهم أرسطو الطبي بجعل مضخة الدم مركزاً للوعي واللب- لا بد من رصد الشواهد المادية والاجتماعية التي تسللت لمتون هذه الأسفار، والتي تثبت تأخر تدوينها . ويتضح ذلك من خلال أربعة برهانات قطعية:

★ أولاً: البرهان الفلسفي الهلينستي (سفر الجامعة والأبيقورية):

يُمثل متن "سفر الجامعة" (Ecclesiastes) شاهداً أدبياً قاطعاً على النفوذ الفكري الإغريقي؛ حيث يُجمع علماء النقد المخطوطاتي أن السفر متأثر بنيوياً بـ الفلسفة اليونانية الشائعة في العصر الهلينستي (وتحديداً الأبيقورية والرواقية). ويتجلى ذلك في العبارات المحورية للسفر حول "عبثية الوجود الدائري والقدر المحتوم، والبحث عن اللذة المتزنة كحل لباطل الأباطيل"؛ وهو نسق فلسفي كلاسيكي وافد غريب كلياً عن العقلية السامية القديمة، مما يثبت تدوين هذه المدونات وصياغتها تحت الهيمنة الفكرية لليونان .

★ ثانياً: البرهان الاجتماعي والقانوني (تقنين البغاء وثقافة أثينا):

وفي ذات النسيج الهلينستي الوافد، يعرض سفر الملوك الأول (الأصحاح 3) القصة الشهيرة للمرأتين اللتين تتنازعان على طفل أمام سليمان عليه السلام. والغريب لسانياً واجتماعياً وتشريعياً، هو وصف كاتب السفر للمرأتين صراحة بـ (امرأتان زانيتان) تعيشان معاً بلا رجال في بيت مشترك واحد، مستخدماً العبارة العبرية (نَاشِيم زُونُوت - **נָשִׁים זֹנוֹת**) للدلالة على ممارسات العيش في بيت بغاء مقنن وعلني.

والمحاكمة التشريعية الصارمة تكشف أن وجود بيوت بغاء مقننة تعيش فيها النساء علناً وتتحاكم للقضاء، يتعارض تعارضاً مطلقاً وصارماً مع الشريعة الموسوية الأصلية والناموس القديم **(سفر التثنية 22، وسفر اللاويين 20)**؛ والتي تفرض عقوبة الرجم والقتل الفوري حتى الموت للزناة والزانيات . في حين يُمثل هذا التقنين والترخيص لبيوت البغاء وفرض الضرائب عليها وحمايتها ثقافة واجتماعاً وقانوناً خاصاً بـ **(قوانين سُولون في أثينا واليونان القديمة)** .

هذا التناقض الصارخ يثبت يقيناً أن مؤلف السفر كان يكتب بوعي وثقافة هلينستية متأخرة متأثرة بالانحلال الاجتماعي السائد في عصره اليوناني، وسعى لتزوير القضاء النبوي ليوهم القارئ بأن هذه البيوت المقننة كانت أمراً معتاداً في زمانهم.
وتكمن قيمة هذا البرهان الاجتماعي في كونه القناة المعرفية التي تؤكد غرق الكاتب في الفكر والبيئة اليونانية .

★ ثالثاً: البرهان التاريخي والجغرافي (مملكة إسرائيل ويهوذا):
يضع كاتب السفر في **(ملوك الأول 1: 35)** جملة على لسان الملك داود عليه السلام يقول فيها:
{ان يَكُونَ رَئِيساً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا} .
وهذا التعبير يمثل سقطة تاريخية ومكانية قاتلة (Anachronism) تبطل فرضية المعاصرة أو الوحي للكاتب؛ ففي زمن داود وسليمان لم يكن هناك أي تميز أو انقسام سياسي بين إسرائيل ويهوذا، بل كانت مملكة واحدة متحدة . ولم يحدث الانقسام الجغرافي والسياسي لظهور مملكتين متناحرتين (مملكة إسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب) إلا بعد وفاة سليمان بعقود طويلة . مجيء هذا اللفظ على لسان داود يثبت يقيناً أن المؤلف شخص متأخر جداً، صاغ الحوار بأثر رجعي مستخدماً المصطلحات السياسية والجغرافية السائدة في عصره الهلينستي المتأخر .

الخلاصة :

تثبت هذه الشواهد المتضافرة (الطبية، والاجتماعية، والتاريخية) أن أسفار الملوك ليست مدونات عاصرت الأنبياء، بل هي نتاج تدوين وتأليف هلينستي متأخر غارق في الثقافة والطب اليوناني . هذا الغرق المعرفي هو القناة التي عبرت من خلالها الأفكار الطبية لـ (أرسطو وجالين) لتتحكم في صياغة مفهوم "القلب" جغرافياً وتشريحياً داخل متن هذه الأسفار، وهو الانحراف المعجمي والتوجيه الخاطئ الذي سنتولى تفكيكه مادية في المطلب القادم

المطلب الثالث : الانحراف المعجمي والتوجيه التشريحي لـ "القلب" (برهان يهورام)

نصل في ختام هذا المبحث إلى البرهان التشريحي والمعجمي المادي الحاسم، والذي يكشف بالعين المجردة ميكانيكية صناعة الوهم الجغرافي لمعنى (القلب) في المخطوطات والأسفار الهلينستية المتأخرة، وكيف جرى السطو على صفات "اللُّب" العقلي الحاكم ونقلها قسراً إلى القفص الصدري السفلي .

ويتجلى هذا الانحراف التشريحي عند محاكمة مشهد حركي وفيزيائي صريح ورد في سفر الملوك الثاني؛ حيث يصف كاتب السفر مشهد مقتل الملك "يهورام" بضربة سهم مادية حددت موضع العضو البشري جغرافياً ووظيفياً؛ **فنقرأ من السفر :**

9 :24 فقبض ياهو بيده على القوس و ضرب يهورام بين ذراعيه فخرج السهم من قلبه فسقط في مركبته

إن التحديد الحركي والمكانى الصارم في العبارة: **(بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ فَخَرَجَ السَّهْمُ مِنْ قَلْبِهِ)** يؤكد بأن الكلمة العبرية المستخدمة في هذا الموضع وهي **(لب/לֵב - بتوافق لغوي رقم 3820)** مقصود بها تلك العضلة المادية اللحمية المفرغة المسؤولة عن ضخ الدم والمستقرة في التجويف السفلي للبدن

ولكن الخلل المعجمي والفادح الذي صنعه الكُتّاب الهلينستيون المتأخرون، هو استخدامهم لذات اللفظ العبري المقيد تشريحياً بالضخ المادي **(لِب/לב)**، وتعميمه بأثر رجعي في بقية المخطوطات والترجمات للدلالة على العمليات الإدراكية العليا والوعي والذكاء (. فنقرأ مثلاً في سفر الخروج: «**فَدَعَا مُوسَى بَصَلْئِيلَ وَأُهولِيَابَ وَكُلَّ رَجُل حَكِيمِ الْقَلْبِ، قَدْ جَعَلَ الرَّبُّ حِكْمَةً فِي قَلْبِهِ**» **(الخروج 36: 2)** ، ونقرأ في سفر التكوين: «**وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ**» **(التكوين 6: 5)**

ومن هنا نشأ الوهم المكانى الحسي لدى المتأخرين؛ فبسبب هذا الدمج والخلط اللفظي الممنهج في المخطوطات، توهم العوام والمتأخرون (ممن يتعاملون مع قدسية هذه الأسفار بلا تفكيك لساني) أن تلك العضلة الميكانيكية التي تضخ الدم بين الذراعين هي نفسها محل العقل والتفكر والذكاء

والحقيقة التاريخية والبيولوجية القاطعة تثبت أن مؤلف السفر صاغ أدبياته بوعي متأخر مشبع بالفلسفة والعلوم الطبية اليونانية (وتحديداً أوهام أرسطو التشريحية) التي توهمت مركزية القلب العضلي للوعي؛ فغاب عن المؤلف أن مصدر القرار الإدراكي ومستقره فسيولوجياً وعصبياً هو الدماغ والمخ في الرأس، وليس مضخة الدم . وتعد هذه السقطة دليلاً نقدياً دامغاً على بشرية وتأخر تدوين هذه الأسفار الهلينستية، بقرينة غرق متونها في العادات والعلوم والمنظومات الاجتماعية والطبية لليونان (كطب جالين وقوانين أثينا الاجتماعية وبيوت بغائها المقننة) والتي لم تتسلل للمنطقة إلا مع الاجتياح اليوناني لفلسطين .

ميكانيكية تسلل الوهم المعجمي إلى الفكر التراثي المتأخر

ولا شك أنه بمرور العصور، بدأت تتسرب هذه المفاهيم المكانية المحرفة إلى العقل الجمعي لمتأخري اللغويين والمفسرين؛ فصاروا يفهمون مكان التدبير والقرار بالمعنى المستورد لديهم بالمخالفة الصريحة لصفاء اللسان القرآني البكر.

ولقد تم هذا التسلل المعرفي والعدوى المعجمية عبر مسارين تاريخيين متكاملين :

- ★ **المسار الأول (بوابة الاختلاط والترجمات الطارئة مبكراً):** وبدأ مبكراً جداً منذ أواخر العصر الأموي وبدايات العصر العباسي الأول مع الفتوحات الإسلامية الكبرى؛ حيث دخلت شعوب بأكملها من الفرس، والروم، والسريان، واليهود إلى الإسلام حاملين معهم رواسب أفهامهم الجغرافية الموروثة في كتبهم وأسفارهم الهلينستية القديمة (التي تزعم أن التفكير في الصدر والمضخة السفلية)، متزامناً مع الترجمات الفردية والطارئة لكتب الطب والكيمياء اليونانية (مثل ترجمات الأمير خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى 85 هـ) . فامتزجت هذه الأفهام باللغة العرفية الشائعة السائدة في حواضر العلم كالبصرة والكوفة، فتلوثت بها الألسن وتسلل الوهم الجغرافي لـ (الصدر والقلب السفلي) إلى بواطن المعاجم المبكرة عند تدوينها

- ★ **المسار الثاني (بوابة الإسرائيليات والترجمة العباسية المنظمة):** وتعاظم هذا الأثر لاحقاً عبر لجوء بعض المفسرين لمحاولة فهم وتفصيل دلالات الآيات القرآنية بالاستعانة بكتب بني إسرائيل المقارنة (الإسرائيليات)، وتزامن ذلك مع حركة الترجمة الرسمية والمنظمة في العصر العباسي الثاني لكتب الفلسفة والطب اليوناني الشائعة (كأرسطو) ، والتي صبغت الأذهان بوهم مركزية مضخة الدم للوعي. فظن المتأخرون واهمين أن هذا التوافق الحادث بين التعبيرات العرفية والإسرائيليات والعلوم المترجمة هو الحقيقة البيولوجية لـ (القلب) . وغاب عنهم التدبر في صفاء اللسان القرآني البكر، الذي تحصن وتنزّه تماماً عن هذا الاختلاط والعدوى التاريخية، وحجز التعقل والسيادة الحيوية حصرًا لـ (لُب الرأس وصدارة الوجه) منذ لحظة هبوط الوحي .

المراجع :

ملحوظة شرعية: جميع الآيات القرآنية الكريمة الواردة في متن هذه الدراسة هي من كتاب الله العزيز حسب مصحف المدينة النبوية (برواية حفص عن عاصم)، ويتم توثيقها داخل السياق مباشرة بذكر اسم السورة ورقم الآية بين قوسين.

1- Crivellato, E., & Ribatti, D. (2007). Soul, mind, and brain: Greek philosophy and the birth of neuroscience. ***Brain Research Bulletin***, 71(4), 329-336.

2- Standring, S. (Ed.). (2020). ***Gray's Anatomy: The Anatomical Basis of Clinical Practice*** (42nd ed.). London: Elsevier. (Chapter 22: Nervous System Overview / Frontal Lobe Functions).

3- Poulose, S. M., Miller, M. G., & Shukitt-Hale, B. (2014). Role of walnuts in maintaining brain health with age. ***The Journal of Nutrition***, 144(4), 561S-566S.

4- Cheng, H. M., Koutsidis, G., Lodge, J. K., Ashor, A., Siervo, M., & Lara, J. (2017). Tomato and lycopene supplementation and cardiovascular risk factors: A systematic review and meta-analysis. ***Atherosclerosis***, 257, 100-108.

5- Hinchcliff, K. W., Kaneps, A. J., & Geor, R. J. (2013). ***Equine Sports Medicine and Surgery*** (2nd ed.). Saunders.

6- Merck & Co. (2022). The Merck Manual of Diagnosis and Therapy (20th ed.). Merck Sharp & Dohme Corp. (Section: Injuries from Alterations in Environmental Pressure / Sub-section: High-Altitude Illness).

7- Mayo Clinic. (2023). Tension-type headache: ***Clinical presentation and neuro-functional pathophysiology***. Mayo Clinic Health Information Series, 18(4), 112-118.

8- Fuchs, E., & Flügge, G. (2014). Adult neuroplasticity: More than 40 years of research. Neural Plasticity, 2014, Article ID 541870.

9- Ginzberg, L. (1906). Aristotle in Jewish legend. In I. Singer (Ed.), The Jewish Encyclopedia: ***A descriptive record of the history, religion, literature,***

and customs of the Jewish people (Vol. 2, pp. 98-102). Funk and Wagnalls. https://www.jewishencyclopedia.com/articles/1774-aristotle-in-jewish-legend

10- Holy Bible. (2018). The Septuagint: LXX: Greek and English (L. C. L. Brenton, Trans.). Hendrickson Publishers. (Original work published 250 B.C.). (Chapters cited: II Kings 9:24,Ecclesiastes, Leviticus 20, Deuteronomy 22, Exodus 22).

11- ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711 هـ). **لسان العرب**. دار صادر، بيروت، طبعة محققة، (مادة: **قَلَبَ، لَبَبَ ، صَدَرَ ، رَأَسَ ،حَضَنَ ، ناصية**).

12- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ). **القاموس المحيط**. طبعة محققة، دار الحديث، القاهرة، (مادة: صَدَرَ ، حَضَنَ).

13- الزبيدي، المرتضى (ت 1205 هـ). **تاج العروس من جواهر القاموس**. طبعة محققة، دار الهداية، بيروت، (مادة: صَدَرَ)

14- كتّاب الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري،" **نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد**"، خاتمة في المسابقة وما يتعلق بها، المطلب الثالث في ترتيب خيل الحلبة وذكر أسمائها، ص 1-7 (من المخطوط المرفق). تشتمل الصفحات بالترتيب على: هندسة السباق وميكانيكية حركة الخيل، وتسمية المجلّي والمصلي وعِلة المحفلة والقطاة برواية كِلاب العقيلي، وطقس مسح وجه السابق ولطم وجه التاسع، وأرجوزة سوابق الخيل في وصف الأغر والقرحة، ونهاية حلائب السباق بـ "اللطيم" واعتصام "السكيت" بالصمت، ونظم محيي الدين بن عربي، وختاماً نص الحفاظ على أن تفريعات الأسماء المعجمية المزدحمة هي "أسماء محدثة" وليست من لسان العرب الأصيل.

15- الغنوي، طفيل (ت نحو 13 ق.هـ). **ديوان طفيل الغنوي**. تحقيق: حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، صفحة 42.

16- الأزدي، مقاتل بن سليمان (ت 150 هـ). **تفسير مقاتل بن سليمان**. تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد (2)، صفحة 271.

17- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256 هـ). **صحيح البخاري**. دار طوق النجاة، بيروت، المجلد (6)، صفحة 73، حديث رقم 4683.
18 - الطبري، محمد بن جرير (ت 310 هـ). **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، المجلد (12)، صفحة 323، (تفسير الآية 5 من سورة هود، رواية رقم 17939).
19 - ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت 774 هـ). **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**. تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المجلد (4)، صفحة 307.
20- الشيباني، أحمد بن حنبل (ت 241 هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م.
21- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (ت 261 هـ). صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف)
22 - ابن حبان، محمد بن حبان البستي (ت 354 هـ). صحيح ابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م
23- الكتاب المقدس. (1993). الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية (ط. 2). جمعيات الكتاب المقدس المتحدة. (الأسفار المعتمدة: سفر الملوك الثاني 9: 24 ، سفر الجامعة ، سفر التثنية 22 ، سفر اللاويين 20 ، سفر الخروج 22).